التبيان فى الحكمة من ورود بعض الحيوان فى القرآن

دكتور

حسين عبد العال حسين طلب أبو صغير

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين بأسيوط – جامعة الأزهر

قام بتحكيم البحث

أ.د/ مجاهد محمد هريدى – أستاذ ورئيس قسم التفسير الأسبق

أ.د/ على أحمد فراج – أستاذ ورئيس قسم التفسير الحالى

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ﴿ يا أيُّها الّذين آمنوا اتّقوا اللّه حقّ تُقاته ولاَ تَمُوتُنّ إلاّ وأنتُم مُسْلمُون ﴾ (١) ﴿ يا أيُّها النّاسُ اتّقُوا ربّكُمُ الّذي خلَقَكُم مّن نّفْسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منْها زوْجها وبثّ منْهُما رجالاً كَثيرًا ونساءً واتّقُوا اللّه الّذي تَساءلُون به والأرْحامَ إنّ اللّه كَانَ علَيْكُمْ رقيبًا ﴾(٢) ﴿ يا أيُّها الّذين آمنوا اتّقُوا اللّه وقُولُوا قوْلًا سَديدًا * يُصلحْ لَكُمْ أعْمَالَكُمْ ويَغفرْ لَكُمْ ذُنُوبكُمْ ومن يُطعْ اللّه ورسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عظيمًا ﴾(٣)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى سيدنا محمد (ﷺ) وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار(٤)

إن القرآن الكريم هو الكتاب الجامع لأصول الدين، أودع الله فيه من كنوز المعرفة وأصول العدل ومناهج الخير ما يسعد الإنسانية ويفتح أمامها آفاقا رحبة فى عمارة الكون، وقد اهتم علماء المسلمين بتفسير كتاب الله واستنباط أحكامه وهداياته، ففتح الله لهم من أسرار هذا الكتاب الكريم علوما جمة وآفاقا رحبة فى جميع جوانب الكون، ووجوه النشاط فى الحياة، فهو كتاب علم وهداية ومنهاج تربية وحضارة .

---

١ - سورة آل عمران الآية (١٠٢)

٢ - سورة النساء الآية الأولى

٣ - الآيتان (٧٠ ، ٧١) من سورة الأحزاب .

٤ - هذه خطبة الحاجة أخرجها الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود: ٣٩٢/١ ، ٣٩٣، ٤٣٢ ط دار الفكر، وأخرج شطرها الأخير الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الإقتداء بسنن رسول الله (ﷺ) [ينظر: فتح البارى لابن حجر: ١٩ / ٢٨٦ حديث رقم ٧٢٧٧ ط دار الغد العربى] والإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة [ينظر : شرح صحيح مسلم للنووى : ٦ / ١٢٧ ، ١٢٨ حديث رقم ٨٦٧ ط دار البيان] وكلها بألفاظ متقاربة، وهذه الخطبة كان يقولها النبى (ﷺ) ويعلمها أصحابه ليقولوها بين يدى كلامهم فى خطبهم ودروسهم أوفى أى أمر من أمور دنياهم.

وباستقرائنا للقرآن الكريم نجد أن الحيوان وما يندرج تحته من أنعام وسباع وغير ذلك قد ورد ذكرها فى جملة مواضع من القرآن الكريم للإشارة إلى قدرة الله الخارقة، وحكمته البالغة، وتدبيره العظيم الذى يسع كل شئ فى الوجود بفضله ورحمته، ولتنبيه الأذهان لتتدبر فى خلق السماوات والأرض فتزداد إيمانا ويقينا، وتدرك أن هذا الكون الواسع الذى يعج بالمتضادات من قوى وضعيف، وصغير وكبير وآكل ومأكول، ومسالم وشرس، إنما نظمته يد واحدة مبسوطة بالعدل سابغة بالفضل قال تعالى:﴿ وما من دآبَّةٍ فِي الأَرْضِ ولاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجنَاحيْهِ إلاَّ أُممٌ أمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى ربِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[١]

وقد سمى الله ــ تعالى ــ بعض السور بأسماء الحيوانات والحشرات لبيان أهمية ما يستفاد من وراء هذه التسميات من معان فسمى بالبقرة والأنعام والنحل والنمل والعنكبوت والفيل .. يقول الجاحظ : اعلم رحمك الله تعالى أن الله جل وعز قد أضاف ست سور من كتابه إلى أشكال من أجناس الحيوان [٢] فلو كان موقع ذكر هذه الحيوانات من الحكمة والتدبير موقعها من قلوب الذين لا يعتبرون ولا يفكرون ولا يميزون ولا يحصلون الأمور ولا يفهمون الأقدار لما أضاف هذه السور العظام الخطيرة والشريفة الجليلة إلى هذه الأمور المحقرة المسخفة والمغمورة المقهورة ولأمر ما وضعها فى هذا المكان ونوه بأسمائها هذا التنويه[٣]

هذا ولما كنت من الذين شرفهم الله تعالى لخدمة القرآن الكريم أردت مستعينا بحول ربى وقوته أن أدلو بدلوى وأشارك بعض من سبقنى فى هذا العمل العظيم وهو الحديث عن الحكمة من ورود ذكر بعض الحيوان فى القرآن الكريم، ولنتدبر معا الآيات التى وردت فيها أسماء هذه الحيوانات لعلنا نستخرج من وراء ذلك علما ينفعنا أو حكمة تهدينا إلى سواء السبيل، وقد استخرت الله تعالى فى تسمية هذا البحث واستشرت بعض أساتذتى فكان التوفيق من الله المنان بأن سميته [

---

١ - سورة الأنعام الآية (٣٨)

٢ - يشير بذلك إلى البقرة والأنعام والنحل والنمل والعنكبوت والفيل .

٣ - ينظر : كتاب الحيوان للجاحظ : ٥/ ٢٤د ط مصطفى البابى الحلبى ط الثانية ١٩٦٦م .

التبيان فى الحكمة من ورود بعض الحيوان فى القرآن] وكما هو واضح من عنوان البحث أن التعرض سيكون لبعض أنواع الحيوان فى القرآن الكريم وليس المراد التعرض لجميع أنواع الحيوان فى القرآن وذلك حتى أتمكن من تغطية كل ما يتعلق بهذه الحيوانات من التعريف بها وذكر عدد مرات ورودها فى القرآن والحكمة من ورودها

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة وثَبت لأهم المراجع التى استعنت بها فى إعداد هذا البحث:

أما المقدمة : فذكرت فيها السبب الذى حدا بى لكتابة هذا البحث والمنهج الذى أسير عليه فيه ٠

وأما التمهيد : فتحدثت فيه عن الحيوان وأصل نشأته وأنه أمة مثلنا.

وأما المطلب الأول: فجعلته بعنوان (ورود الأنعام فى القرآن الكريم)

وأما المطلب الثانى: فجعلته بعنوان (ورود السباع فى القرآن الكريم)

وأما المطلب الثالث: فجعلته بعنوان (ورود حيوانات أخرى فى القرآن الكريم سوى ما ذكر)

وأما الخاتمة : فتشتمل على أهم نتائج البحث ٠

وقد اعتمدت فى تقسيم هذه الأنواع المدرجة فى المطالب الثلاثة على ما جاء فى كتب:الحيوان للجاحظ وعجائب المخلوقات لأبى زكريا القزوينى وسلسلة القصص القرآنى أ٠د حمزة النشرتى، كما آثرت الترتيب القرآنى للأنواع التى تندرج تحت كل مطلب من هذه المطالب٠

هذا وإنى إذ أقدم هذا العمل لا أدعى الكمال، فالكمال لله - تعالى - وحده، وحسبى أننى بذلت غاية الجهد وما فى الوسع، وأسأل الله(ﷻ) السداد والتوفيق إنه نعم المجيب، كما اسأل الله سبحانه أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به من يطلع عليه، وأن يجعله فى ميزان حسناتى وفى ميزان حسنات والدىّ وأهل بيتى وأن يجعله حجة لنا يوم القيامة ٠

وما توفيقي إلاّ باللّه عليه توكّلت وإليه أنيب ﴾[1] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومتبعيه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

****

---

[1] بعض الآية (٨٨) من سورة هود (عليه السلام)

التمهيد

يجدر بنا قبل التعرض لذكر بعض أنواع الحيوان والحكمة من ورودها فى القرآن الكريم من خلال المطالب الثلاثة القادمة أن نلقى الضوء على معنى الحيوان فى اللغة والاصطلاح، وبيان أصل نشأته، وأنه أمة مثلنا فنقول وبالله والتوفيق ٠

الحيوان فى اللغة والاصطلاح :

أما اللغة: فيقول الراغب الأصفهانى: الحيوان مقر الحياة، ويقال على ضربين:أحدهما: ماله الحاسة٠والثانى: ما له البقاء الأبدى وهو المذكور فى قوله تعالى: ﴿ وإنّ الدّار الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون﴾ [١]

وقال بعض أهل اللغة : الحيوان والحياة واحد ، وقيل: الحيوان ما فيه الحياة، والموتان ما ليس فيه الحياة [٢] وجاء فى اللسان: الحيوان: اسم يقع على شئ حى، وسمى الله (ﷻ) الآخرة حيوانا فقال: ﴿ وإنّ الدّار الْآخِرَةَ لَهِي الْحَيوانُ﴾ وكل ذى روح حيوان والجمع والواحد فيه سواء، والحيوان جنس الحى وأصله حييان فقلبت الياء التى هى لام واوا استكراها لتوالى الياءين لتختلف الحركات[٣]

والحيوان كل ذى روح ناطقا كان أو غير ناطق مأخوذ من الحياة، وقوله تعالى: ﴿ وإنّ الدّار الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحيوانُ﴾ يعنى الحياة التى يعقبها موت أو الحيوان هنا مبالغة فى الحياة ٠

وأما فى الاصطلاح: فقد عرفه الجرجانى بأنه: الجسم النامى الحساس المتحرك بالإرادة [٤] وقد تبين من المعنى اللغوى أن الحيوان هو كل ذى روح وهو جنس الحى الذى تدب فيه الحياة وعليه فيمكن تعريف الحيوان بأنه: كل كائن حى يتغذى

---

١ - بعض الآية (٦٤) من سورة العنكبوت ٠

٢ - ينظر :المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى : مادة (ح٠ى٠ ى) ص : ١٣٩ بتصرف ط الجمهورية ٠

٣- ينظر : لسان العرب لابن منظور مادة (ح ٠ ى ٠ أ) ١٤ / ٢١٤ ط دار صادر بيروت - ط الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م ٠

٤ - التعريفات للجرجانى ص ١٢٧ ط دار الريان للتراث ٠

على مواد عضوية ليس له القدرة على تكوينها لنفسه وينحرك حركة غير مقيدة ويتمتع بقدر وافر من الاستجابة للتغيرات التى تحصل حواليه سواء بالتكيف أو الحساسية أو بهما معا وينمو إلى حد معين يقف عنده النمو[١]

ولم يرد لفظ الحيوان فى القرآن الكريم بالمعنى المتعارف عليه والذى نحن بصدد الحديث عنه فى هذا البحث أى لم يأت مرادا به تلك المخلوقات الغير عاقلة ذات الروح والحس بل جاء اللفظ مرة واحدة دالا على معنى آخر وإن كان الأصل واحدا فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يعْلَمُون ﴾ أى إن حياة الدار الآخرة هى الحياة الحقيقية.. الحياة الكاملة.. الحياة التى فاقت كل تصور لمعنى الحياة ومن ثم كان التعبير عنها بصورة تفيد معنى المبالغة فقال:﴿وإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ يقول الزمخشرى: أى ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها فى ذاتها حياة [٢].

فلفظ الحيوان المذكور هنا جاء للدلالة على عظم قدر الحياة فى الدار الآخرة وما فيها من حركة وحيوية ونعيم دائم حتى وصفت الدار الآخرة ذاتها بأنها الحيوان فهى كما يقول الأستاذ سيد قطب: الحياة الفائضة بالحيوية٠٠٠هى(الحيوان)لشدة ما فيها من الحيوية والامتلاء[٣]

على حين جاء الحيوان بمعناه فى القرآن الكريم وذلك من خلال إطلاق لفظ الدابة التى إذا ذكرت انصرف الذهن فى الغالب إلى الحيوان وذلك بحسب العرف واللغة، إذ أن العرف جعل اللفظ مختصا بذوات الأربع، جاء فى اللسان: الدابة اسم لما دب من الحيوان مميزة وغير مميزة وفى التنزيل العزيز: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء ﴾[٤]والدابة التى تركب وقد غلب هذا الاسم على ما يركب من

---

١ - اساسيات علم الحيوان د / محمد كمال عبد المعز ص ٦ ، ٧٢ ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ط الثانية ١٩٦٦ م ٠

٢ - الكشاف : ٣/ ٢١١ ط مصطفى البابى الحلبى الطبعة الأخيرة ٠

٣- فى ظلال القرآن : ٥ / ٢٧٥١ ط دار الشروق ٠

٤ - بعض الآية (٤٥) من سورة النور ٠

الدواب[١] يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: الدواب جمع دابة، والدابة هى كل ما يدب على الأرض فإذا كان هذا المعنى يكون الإنسان داخلا فى هذا التعريف ولكن العرف اللغوى حدد الدابة بذوات الأربع وجعل اللفظ مختصا بها أى بالحيوانات وشرف الله الإنسان بأنه لا يمشى على أربع فلا يدخل فى التعريف والله تعالى يقول: ﴿ وما مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[٢] فكأن الله استثنى الإنسان من وصف الدابة[٣].

وبالرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم تبين أن لفظ الدابة قد ورد مفردا أربع عشرة مرة[٤] وجاء لفظ الدابة مجموعا أربع مرات[٥] فيصير المجموع ثمانى عشرة مرة[٦]، والإنسان حيوان ناطق أى مفكر وهو أشرف أنواع الحيوان ومع عداه من الحيوانات خلق لأجله وسخر لخدمته ولمزيد كرامته عند الله تعالى حرمه على بنى جنسه ــ دمه وماله وعرضه ــ فحرمة أكل لحم الإنسان من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة [٧].

---

١ - ينظر : لسان العرب : مادة (د ٠ ب ٠ ب) ١/ ٣٧٠ ٠

٢ - بعض الآية (٣٨) من سورة الأنعام ٠

٣ - ينظر: قصص الحيوان للشيخ / محمد متولى الشعراوى : ٨٥ ، ١٠٠ ، ١١٦، ويراجع: التوظيف الاقتصادى للموارد الطبيعية فى ضوء القرآن الكريم للباحث/ حشمت مفتى عبد الراضى رسالة التخصص (الماجستير) ص ٣٦١ ، ٣٦٢ مخطوط فى كلية أصول الدين بأسيوط قسم التفسير وعلوم القرآن سنة ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م ٠

٤ - وهى فى سور البقرة الآية ١٦٤ والأنعام ٣٨ وهود ٦و٥٦ والنحل ٤٩ و٦١ والنور ٤٥ والنمل ٨٢ والعنكبوت ٦٠ ولقمان ١٠ وسبأ ١٤ وفاطر ٤٥ والشورى ٢٩ والجاثية ٤ ٠

٥ - وهى فى سور الأنفال الآية رقم ٢٢ و٥٥ والحج ١٨ وفاطر ٢٨ ٠

٦ - ينظر :المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقى:٣٢٠ ط دار الحديث.

٧ - ينظر :المحلى لابن حزم: ٧/ ٣٩٩ تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار الطباعة المنيرية ط الأولى ١٣٤٧هـ ٠

أصل نشأة الحيوان :

الحيوان وما يندرج تحته من أنواع صفحة مفتوحة فى كتاب الله المنظور، ذكرها فى آيات كثيرة وأشار إلى اختلاف أنواعها وأشكالها وأعضائها وقواها وألوانها وأصواتها ومنافعها ومضارها، وهى مع هذا الاختلاف من أصل واحد وهو الماء والتراب قال تعالى: ﴿ واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يمْشِي علَى بطْنه ومِنْهُم مَّن يمْشِي علَى رِجْلَيْنِ ومِنْهُم مَّن يمْشِي علَى أَرْبَعٍ يخْلُقُ اللَّهُ ما يشَاء إِنَّ اللَّه علَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١]

وقد أشار العلامة الزمخشرى إلى أن هذه الآية تشبه آية الرعد قوله تعالى: ﴿ وفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجاوِراتٌ وجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وزَرْعٌ ونَخِيلٌ صِنْوانٌ وغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ ونُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يعْقِلُونَ ﴾[٢] ففى الآيتين دلالة على باهر القدرة فقد خلق الكل من الماء ثم تباينت الأنواع والأفراد تباينا تاما [٣].

وحقيقة إن كل دابة خلقت من ماء قد تعنى أن كل حيوان نشأ فى أصله من تراب الأرض رمائها،وأن الماء قوام كل كائن حى، وقد تعنى أنه ما من دابة تدب على الأرض إلا تكونت من بيضة من الأنثى ولقاح من الذكر مع اختلاف أشكال الحيوان المنوى وخصائصه فى كل نوع من أنواع الدواب ليتميز كل جنس من الحيوان من الآخر بصفاته وخواصه[٤]

قال صاحب الظلال: إن تأمل الأحياء المتنوعة الأشكال والأحجام والأصول والأنواع والخواص والألوان ــ وهى خارجة من أصل واحد ــ ليوحى بالتدبير المقصود ، والمشيئة المدبرة ، وينفى فكرة المصادفة العمياء ويؤكد تقدير الله

---

١ - سورة النور الآية (٤٥).

٢ - سورة الرعد الآية (٤).

٣ - ينظر : الكشاف : ٣/ ٧١ وابن كثير : ٤ / ٤٤٠ .

٤ - ينظر: المنتخب فى تفسير القرآن الكريم للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص : ٦١٥

العزيز وأنه الصانع الحكيم الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى [١] وحتى عنصر الجمال فى الكون وراءه قصد وتصميم ، فعناصر الجمال هى التناسق ، والتناظر والتناغم فى الأشكال والألوان والأصوات ، وتتكون من نسب مقدرة خاضعة لناموس ثابت أحكمته لتكوين الجميل ... وعليه كان من كمال الجمال أن وظائف الأشياء تؤدى وظيفتها عن طريق جمالها[٢]

الحيوان أمة مثلنا :

جعل الله تعالى بنى آدم سادة للكون وكل الكائنات تخدمهم فكان الأجدر بهم أن يتنبهوا إلى أن الحيوان فى خدمتهم، والنبات فى خدمة الحيوان وخدمة الانسان، وغير ذلك من كل كائنات الوجود تصب جهدها المسخر لخدمة الإنسان، والحق سبحانه وضع للدواب قوانين وجعل بنى آدم سادة هذه الدواب ، فكل الدواب هداها الله إلى الرزق بغريزة وميز الإنسان فوق كل الكائنات بالعقل ، وعلى الإنسان أن يعلم أنه تعلم بعض الأشياء من محاكاة ما دونه من الكائنات، من هنا كان على الإنسان أن يعلم أن له خالقا جعل له من الأجناس ما تخدمه ليطور من حياته.

وكل أمة من الأمم الكثيرة التى خلقها الله فى الكون تسبح بحمده، ولكن لا يفهم أحد لغات تلك الأمم قال تعالى: ﴿ وإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [٣] وجميع الكائنات هى أمم أمثالنا. يقول صاحب معالم القرآن: إن المخلوقات الحية من أنس وجن وبهائم وحشرات وزواحف وطيور وأسماك وحيتان وديدان وجراثيم هى أمم قائمة بخصائصها وحياتها الخاصة تتفاهم بلغاتها وإشاراتها وعاداتها ومشاعرها تطمئن بسكينتها وتنفر عند حذر الخطر وخوف الهلاك، وتتصدى للدفاع عن نفسها بصد العدو ومقاومته بما وهبها... الله تعالى

---

١ - فى ظلال القرآن : ٤ / ٢٥٢٤ بتصرف واختصار .

٢ - المشاهد فى القرآن الكريم دراسة تحليلة وصفية د / حامد صادق قنيبى ص١٣١ : ١٣٣ بتصرف واختصار ط المنار ط الأولى ١٩٨٤ م .

٣ - بعض الآية (٤٤) من سورة الإسراء .

٠٠وهذه الحيوانات المختلفة لكل صنف منها عادات خاصة ولغات تتفاهم بها وإشارات تعبيرية معتادة [١]

وأمة الحيوان لها نظامها ولها عاداتها ولها خصائصها من أجل ذلك نجد كثيرا من العلماء تناولوا بالدراسة علومها وحياتها وأنظمتها ووضعوا لها الدراسات وألفوا الكتب وبينوا الأعاجيب، وأمة الحيوان كغيرها من الأمم تسبح بحمد الله كما سبق أن أشرنا والعلم المعاصر يكتشف فى كل دقيقة حقائق هذا الكون المنظم، والله تعالى جعل لدواب الأرض نطاقا للعمل والرزق والأجل بحكم الغريزة، وفى النهاية يحشر كل شئ إلى الله تعالى يوم القيامة ويقتص للمظلوم من الظالم ودليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ « لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[٢] قال النووى فى أثناء شرحه للحديث : هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الادميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[٣] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره، قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة فى القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة، والجلحاء بالمد هى الجماء التى لا قرن لها.[٤]

---

١ - معالم القرآن فى عوالم الأكوان للشيخ / أحمد محى الدين العجوز ص ٢٧٨ باختصار ط دار الندوة الجديدة بيروت لبنان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م ٠

٢ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم [ينظر شرح صحيح مسلم للنووى : ١٦ / ١١٦ حديث رقم ٢٥٨٢]

٣ - سورة التكوير الآية رقم (٥)٠

٤ - شرح صحيح مسلم للإمام النووى : ١٦ / ١١٦ تح / طه عبد الرءوف سعد ط دار البيان العربى ٠

المطلب الأول

ورود الأنعام فى القرآن الكريم

تمهيد :

تطلق الأنعام على أربعة أنواع من الحيوان هى الإبل والبقر والضأن والمعز ، ونزلت باسمها سورة من سور القرآن الكريم هى سورة " الأنعام " وقبل الحديث بالتفصيل عن هذه الأنعام لابد من الوقوف عدة وقفات عند بيان الحكمة من خلق هذه الأنعام وحكمة ورودها فى القرآن الكريم ويمكن تجلية هذه الأمور فيما يلى:

أولا : المنافع المتعددة: فلله تعالى حكمة بالغة فى ذكر هذه الأنعام فى القرآن الكريم، وذلك لما لها من منافع متعددة ذكر الله بعضها صراحة على حين ذكر بعضها الآخر فى خفاء، ففى القرآن الكريم كثير من الآيات تحدثت عن ما فى الأنعام من دفء من الجلود والأصواف والأوبار والأشعار وكذلك منافع الحليب واللحم وقد أشار الله تعالى إلى ذلك فى قوله: ﴿ واللَّهُ جعَل لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سكَنًا وجعَل لَكُم مِّن جُلُودِ الأنْعامِ بُيُوتًا تَستَخِفُّونَها يوْم ظَعْنِكُمْ ويَوْم إقَامتِكُمْ ومِنْ أصْوافِها وأوْبارِها وأشْعارِها أثَاثًا ومَتَاعًا إلَى حِينٍ ﴾[1] وفى قوله: ﴿ وإنّ لَكُمْ فِي الأنْعامِ لَعِبْرةً نُسْقِيكُم مِّمّا فِي بُطُونِه مِن بيْنِ فَرْثٍ ودَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سآئِغًا لِلشّارِبِين ﴾ [2] ففى الآيتين السابقتين يتبين لنا أن الله تعالى قد ذلل الأنعام للإنسان وجعلها لخدمته، يركب الجمال ويحمل عليها الأثقال ويأكل لحمها ويشرب ألبانها ويستفيد بجلودها، ويصنع من أصواف الغنم الملابس الثقيلة، ومن وبر الجمال الخيام والسجاد والأثاث، وكذلك شعر المعز، وأيضا من الأنواع الأربعة يخرج اللبن وهو آية من آيات الله يخرج من بين شيئين كريهين "الفرث" وهو أوساخ الكرش و"الدم" الأحمر القانى المليئ بالميكروبات والجراثيم ، يخرج اللبن أبيض نقياً صافيا، ومن الأنعام يأكل الناس

---

١ - سورة النحل الآية رقم (٨٠).

٢ - سورة النحل الآية رقم (٦٦).

لحما ويشربون لبنا، ومنافع فى حمل الأثقال إلى البلد البعيد لا يبلغونه إلا بشق الأنفس،هذا ما أشار اليه الحق سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[1] ويقول سبحانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾[2]

يقول صاحب المشاهد فى القرآن الكريم: والأنعام آية مشهورة منظورة من آيات الله، ليست غائبة ولا بعيدة ولا غامضة تحتاج إلى تدبر أو تفكير.. فهى ملك الإنسان ذللها الله لمنافعه.. وكل ذلك بقدرة الله وتدبيره، ومما أودع الإنسان والأنعام من الخصائص ما جعل الإنسان قادرا على تذليلها واستخدامها والانتفاع بها، وجعلها مذللة نافعة ملبية لشتى حاجات الإنسان وما يملك الناس أن يصنعوا من ذلك كله شيئا، وما يملكون أن يذللوا ذبابة لم يركب الله فى خصائصها أن تكون ذلولا لهم ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [3]

ثانيا : بيان فضل الله تعالى على عباده : ويظهر ذلك جليا حينما يتدبر الإنسان ويتفكر فى هذه الأنعام وما ينتج منها يحس أنه مغمور بفيض من نعم الله وهذا الفيض يتمثله فى كل شئ حوله وفى كل مرة يركب فيها دابة أو يأكل قطعة لحم أو يشرب جرعة حليب أو يتناول من سمن أو جبن أو يلبس ثوبا من شعر أو صوف أو وبر كل هذا يهز الوجدان ويشعر الإنسان بوجود الخالق ورحمته ونعمته، ويشمل هذا كل ما تمس يداه من أشياء حوله وكل ما يستخدمه من حىّ أو جامد فى هذا الكون الكبير وتعود حياته كلها تسبيحا لله وحمدا وعبادة آناء الليل وأطراف النهار .

---

١ - سورة يس الآيات (٧١ : ٧٣).

٢ - الآيتان (٧٩ ، ٨٠) من سورة غافر .

٣ - المشاهد فى القرآن الكريم د / حامد صادق قنيبى : ١٣٦ .

ثالثا: تحدى المشركين والرد عليهم فى أمر التحليل والتحريم بالأهواء: وذلك أن المشركين - قبحهم الله - حللوا وحرموا فى الأنعام بأهوائهم دون مستند من الدين، مرة بعدم الأكل مما ذكر اسم الله عليه[١] ومرة بالجور فى القسمة[٢] ومرة بقتل الأولاد ووأد البنات بغير علم[٣] ومرة بتحريم بعض الأنعام دون بعض[٤] ومرة بتحريم الأجنة على الإناث[٥] من أجل ذلك رد الله عليهم ردا مفحما يلجم ألسنتهم عن الكلام ، ويوقف عقولهم عن التفكير لما فيه من البيان الواضح والبرهان الساطع ويتجلى ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٦]

المعنى الإجمالى للآيتين الكريمتين:

إن الله جل ثناؤه ألزم المشركين الحجة وجعلهم يعترفون بفساد عقيدتهم وتشريعاتهم، وذلك عن طريق الأسلوب التوبيخى التقريعى، فقد جعل سبحانه الأزواج المخلوقة ثمانية أصناف من الضأن اثنين أى زوجين وهما الكبش والنعجة ، ومن المعز اثنين وهما التيس والعنز ، ومن الإبل اثنين وهما الجمل والناقة ، ومن البقر اثنين وهما الثور وإنثى البقر، ثم بعد ذلك يخاطب نبيه محمدا (ﷺ) أن يوبخ هؤلاء المشركين ويبكتهم ويلزمهم الحجة : أحرم الله الذكرين وحدهما أم

---

١ - وذلك فى الآيات (١١٨ - ١٢١) من سورة الأنعام .

٢ - وذلك فى الآية (١٣٦) من سورة الأنعام .

٣ - وذلك فى الآية (١٣٧) من سورة الأنعام .

٤ - وذلك فى الآية (١٠٣) من سورة المائدة والآية (١٣٨) من سورة الأنعام

٥ - وذلك فى الآية (١٣٩) من سورة الأنعام .

٦ - الآيتان (١٤٣ ، ١٤٤) من سورة الأنعام .

الأنثيين أم الأجنة التى اشتملت عليها أرحام إناث الزوجين فى قوله: ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ﴾ ثم يعجزهم الله تعالى ويوبخهم ويطلب منهم أن يخبروه بأمر معلوم لا بافتراء ولا بتخرص إن كانوا صادقين فى نسبة ذلك التحريم إليه، ويأتى التوبيخ والذم والإهانة مرة أخرى فى الآية التالية بقوله :﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا ﴾ أى هل كنتم حاضرين حين وصاكم الله بهذا التحريم ؟

ثم يتوعدهم الله تعالى على الافتراء فى التشريع الذى لم يأذن به فيقول: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أى لا أحد أشد ظلما من هؤلاء المشركين المفترين على الله – بقصد الإضلال عن جهل تام – بتحريم ما لم يحرم: والله تعالى لا يهديهم أبدا إلى طريق الحق بسبب ظلمهم وتعديهم على الله سبحانه لأنه تعالى لا يهدى القوم الظالمين ٠

وهكذا يوبخ الله تعالى المشركين على تحليلهم وتحريمهم بأهوائهم ويردهم بهاتين الآيتين إلى المصدر الحقيقى للتحليل والتحريم فى الحرث والأنعام التى يتنعمون بها ليعبدوه جل شأنه وذلك لصلاح حالهم ودينهم فالله غنى عن العباد عبدوا أو جحدوا.

رابعا : إثبات قضية البعث ثم العظة والعبرة: سوف يتجلى ذلك فى أثناء الحديث عن قصة بقرة بنى إسرائيل ، وكيف أن الله تعالى أحيا القتيل بمجرد ضربهم إياه بجزء منها بعد ذبحها، وكذلك أثناء الحديث عن الإبل، وأنها دليل قاطع على قدرة الله تعالى، يدعو إلى التفكر والتدبر فى خلقه تعالى٠

تساؤل والرد عليه :

كيف توفق بين ما جاء فى سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ ﴾ [1] وبين ما جاء فى سورة المائدة من قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ

---

١ – بعض الآية (١٤٥) من سورة الأنعام ٠

وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾[1]؟

أقول: إن آية الأنعام ليس المقصود منها حصر المحرمات فى هذه الثلاثة وإنما المقصود منها الرد على مزاعم المشركين فيما حرموه بغير علم من البحائر والسوائب وغيرها، يقول الحافظ ابن كثير: والغرض من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام[2] ونحو ذلك فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم وإنما حرم ما ذكر في هذه الآية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وما عدا ذلك فلم يحرم وإنما هو عفو مسكوت عنه فكيف تزعمون أنتم أنه حرام ومن أين حرمتموه ولم يحرمه الله وعلى هذا فلا يبقى تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا كما جاء النهي عن لحوم الحمر الأهلية ولحوم السباع وكل ذي مخلب من الطير[3]

وقال الإمام القرطبى: والآية مكية. ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت محرم غير هذه الأشياء، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة. وزيد في المحرمات

---

١ - بعض الآية (٣) من سورة المائدة .

٢ - البحيرة: ما كانوا يجعلونه بالناقة إذا ولدت عشرة أبطن شقوا أذنها فيسيبوها فلا تركب ولا يحمل عليها ، والسائبة : التى تسيب فى المراعى فلا ترد عن حوض ولا علف وذلك إذا ولدت خمسة أبطن، والوصيلة : أن احدهم كان إذا= =ولدت له شاته ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها ، والحام : هو الفحل إذا ضرب عشرة أبطن كان يقال حمى ظهره فلا يركب [يراجع ذلك فى : المفردات فى غريب القرآن : مادة (ب ح ر) و (س ي ب) و(و ص ل) و (ح م ى) ص : ٣٧ ، ٢٤٦ ، ٥٢٦ ، ١٣٣].

٣- تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥ ، ٣٩٦ ط دار الحديث والحديث أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب الذبائح والصيد باب أكل كل ذى ناب من السباع ينظر فتح البارى : ١٥/ ٣٤٤ حديث رقم ٥٥٣٠ .

كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة والخمر وغير ذلك. وحرم رسول الله صلى الله عليه بالمدينة أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير[١]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الحصر فى آية الأنعام ليس حصرا حقيقيا وإنما هو حصر إضافى قصد به الرد على هؤلاء الذين كانوا يحرمون على أنفسهم ما أحل الله، والحق أن ما حرم رسول الله من أكل كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير والحمر الأهلية كمثل الذى حرمه الله ، وما حرمه رسول الله فهو مضمون لما ذكر فى الآيات التى ورد فيها المحرمات، وهو زيادة حكم من الله (ﷻ) على لسان نبيه (ﷺ).

والخلاصة: أن قوله تعالى ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ ﴾[٢] ليس المقصود منه حصر المحرمات فى هذه الثلاثة وإنما المقصود منه الرد على مزاعم المشركين ، وذلك أن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرمه الله، وكانوا على المضادة والمحادة جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال سبحانه لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه والغرض المضادة لا النفى والإثبات على الحقيقة فهو سبحانه لم يقصد حل ما وراء الميتة والدم ولحم الخنزير إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل والآية مكية ولم يتطرق إليها النسخ.

وبعد إلقاء الضوء على بيان الحكمة من خلق هذه الأنعام، والحكمة من ورودها فى القرآن الكريم، والتوفيق بين آيتى الأنعام والمائدة، نعود إلى الحديث التفصيلى عن أنواعها، وهى كما وردت حسب ترتيب آيات المصحف الشريف: "البقر" و "الضأن" و"المعز" و "الإبل"[٣] فأقول مستلهما منه تعالى الرشد والصواب:

---

١ - تفسير القرطبى : ٧/ ١١٥ وينظر التحرير والتنوير : ٨/ ١٣٩ ، ١٤٠ .

٢ - بعض الآية (١٤٥) من سورة الأنعام .

٣ - يندرج تحت البقر: العجل، وسوف يأتى الحديث عنه بالتفصيل فى موضعه إن شاء الله .

أولا : البقر :

البقر حيوان أليف نافع للإنسان يؤكل لحمه ويشرب ألبانه ويستخدم جلوده فى أغراض متعددة ، وقد ورد لفظ البقر فى القرآن الكريم بالإفراد واسم الجمع ، فمن مواطن وروده بالإفراد قوله تعالى : ﴿ وإذْ قَال مُوسى لقَوْمه إنّ اللّه يأْمُرُكُمْ أنْ تَذْبحُواْ بقَرةً ﴾[١]وقوله:﴿ قَالَ إنَّهُ يَقُولُ إنَّهَا بقَرةٌ لاَّ فَارِضٌ ولاَ بِكْرٌ ﴾[٢] وقوله: ﴿قَال إنّهُ يقُولُ إنّها بقَرةٌ صفْراء فَاقعٌ لَّونُها تَسُرُّ النّاظرين ﴾[٣] وقوله:﴿ قَال إنّهُ يقُولُ إنّها بقَرةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثيرُ الأرْضَ ﴾ [٤]

ومن مواطن وروده باسم الجمع قوله تعالى: ﴿ إنّ البقَرَ تَشَابه علَيْنَا ﴾[٥] وقوله:﴿ ومِن الإبِلِ اثْنَيْنِ ومِن الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾[٦] وقوله:﴿ومِن الْبقَرِ والْغَنَمِ حرّمْنَا علَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾[٧] وقوله تعالى فى جمع المؤنث السالم: ﴿ وقَال الْملِكُ إنِّي أرى سبْع بقَرات سمان ﴾ [٨] وقوله:﴿ أفْتنَا فِي سبْعِ بقَرات سمانٍ ﴾ [٩]

وسميت أطول سورة فى القرآن باسم هذا الحيوان " البقرة " وتسمى كذلك بفسطاط القرآن وسنام القرآن وذلك لعظمتها وبهائها وكثرة أحكامها ومواعظها، وسورة البقرة أول سورة نزلت بعد الهجرة، وفيها أغلب التشريع الإسلامى، وفيما يلى نقف وقفتين إحداهما:عند قصة بقرة بنى إسرائيل، والأخرى:عند قصة عجل بنى إسرائيل فنقول وبالله التوفيق:

---

١ - بعض الآية (٦٧) من سورة البقرة .

٢ - بعض الآية (٦٨) من سورة البقرة .

٣ - بعض الآية (٦٩) من سورة البقرة .

٤ - بعض الآية (٧١) من سورة البقرة .

٥- بعض الآية (٧٠) من سورة البقرة .

٦ - بعض الآية (١٤٤) من سورة الأنعام .

٧ - بعض الآية (١٤٦) من سورة الأنعام .

٨ - بعض الآية (٤٣) من سورة يوسف (عليه السلام).

٩ - بعض الآية (٤٦) من سورة يوسف (عليه السلام).

أ- قصة بقرة بنى إسرائيل :

يقول الله تعالى: ﴿ وإذْ قَال مُوسى لِقَوْمِه إنّ اللّه يأمُرُكُمْ أنْ تَـذْبحُواْ بقَـرةً قَالُواْ أتَتّخذُنَا هُزُواً قَال أعُوذُ باللّه أنْ أكُون من الْجاهلين * قَالُواْ ادْعُ لَنَا ربّك يُبَـيّن لّنَا ما هي قَال إنّهُ يقُولُ إنّها بقَرةٌ لاّ فَارضٌ ولاَ بكْرٌ عوَانٌ بيْنَ ذَلـك فَـافْعلُواْ مَـا تُؤْمرون * قَالُواْ ادْعُ لَنَا ربّك يُبيّن لّنَا ما لَوْنُها قَال إنّهُ يقُولُ إنّها بقَرةٌ صفْراء فَاقـعٌ لّوْنُها تَسُرُّ النّاظرين * قَالُواْ ادْعُ لَنَا ربّك يُبيّن لّنَا مَا هي إنّ البقَر تَشَابه علَيْنَا وإنّـآ إن شَاء اللّهُ لَمُهْتَدُون * قَال إنّهُ يقُولُ إنّها بقَرةٌ لاّ ذَلُـولٌ تُثيـرُ الأرْض ولاَ تَسْـقي الحرْثَ مُسلّمةٌ لاّ شيةَ فيها قَالُواْ الآن جئْتَ بالْحقّ فَذَبحُوها وما كَادُواْ يفْعلُـون* وإذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارأْتُمْ فيها واللّهُ مُخْرجٌ مّا كُنتُمْ تَكْتُمُون* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ ببعْضِها كَـذَلك يُحْيي اللّهُ الْموْتَى ويُرِيكُمْ آياتِه لَعلّكُمْ تَعْقلُون﴾[1]

يقول الإمام ابن جرير: هذه الآيات مما وبخ الله بها المخاطبين مـن بنـى إسرائيل فى نقض أوائلهم الميثاق الذى أخذه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه: فقال لهـم: واذكروا أيضا من نكثكم ميثاقى إذ قال موسى لقومه، وقومـه بنـو إسـرائيل وإذ اداروؤا فى القتيل الذى قتل فيهم [2].

وقد أورد قصة البقرة جمع غفير من المفسرين أصحها ما ذكره الحافظ بـن كثير فى تفسيره حيث قال رحمه الله : كان رجل من بني إسرائيل، وكان غنياً، ولم يكن له ولد، وكان له قريب، وكان وارثه، فقتله ليرثه، ثم ألقاه على مجمع الطريق، وأتى موسى(عليه السلام) فقال له: إن قريبي قتل وأني إلى أمر عظيم، وإني لا أجد أحـداً يبين لي من قتله غيرك يا نبي الله، قال: فنادى موسى في الناس، فقال: أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا يبينه لنا.فلم يكـن عنـدهم علـم، فأقبـل القاتـل علـى موسى(عليه السلام) فقال له: أنت نبي الله، فسل لنا ربك أن يبين لنا، فسأل ربـه، فـأوحى الله: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ فعجبوا من ذلك، فقالوا: ﴿أتتخـذنا هـزوا ؟ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ قال أنـه

---

١ - سورة البقرة الآيات (٦٧ : ٧٣) .

٢ - ينظر : جامع البيان : ٢/ ١٨٣ .

يقول إنها بقرة لا فارض ﴿ يعني لا هرمة ﴿ ولا بكر ﴾ يعني ولا صغيرة ﴿ عوان بين ذلك ﴾ أي نصف بين البكر والهرمة ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؟ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ أي صاف لونها ﴿تسر الناظرين ﴾ أي تعجب الناظرين ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون * قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول ﴾ أي لم يذللها العمل ﴿ تثير الأرض ولا تسقي الحرث ﴾ يعني وليست بذلول،تثير الأرض ولاتسقي الحرث يعني ولاتعمل في الحرث﴿مسلمة﴾ يعني مسلمة من العيوب ﴿ لا شية فيها ﴾ يقول: لا بياض فيها ﴿ قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ قال ولو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة، استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت إياها، ولكنهم شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، ولولا أن القوم استثنوا فقالوا: إنا إن شاء الله لمهتدون، لما هدوا إليها أبداً، فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعتت لهم إلا عند عجوز عندها يتامى وهي القيمة عليهم، فلما علمت أنه لا يزكو لهم غيرها، أضعفت عليهم الثمن. فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة، وأنها سألتهم أضعاف ثمنها، فقال لهم موسى: إن الله قد خفف عليكم، فشددتم على أنفسكم، فأعطوها رضاها وحكمها. ففعلوا واشتروها فذبحوها، فأمرهم موسى (عليه السلام) أن يأخذوا عظما منها فيضربوا القتيل، ففعلوا، فرجع إليه روحه، فسمى لهم قاتله، ثم عاد ميتاً كما كان، فأخذ قاتله، وهو الذي كان أتى موسى(عليه السلام)،فشكا إليه،فقتله الله على أسوأ عمله[1].

---

١ - تفسير ابن كثير: ٢٤٧/١ ، ٢٤٨ [ويراجع القصة فى تفاسير ابن جرير: ١٨٣/٢، ١٨٤ وابن أبى حاتم: ١/ ١٣٦ وعبد الرزاق: ١/ ٢٧٤ والواحدى النيسابورى :١٥٤/١ وابن عطية: ١٦١/١] وأوردها الحافظ ابن حجر فى الفتح وقال : وأخرجها ابن جرير وابن أبى حاتم وعبد ابن حميد بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين عن عبيدة بن عمرو السلمانى أحد كبار التابعين [ينظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى :١٣٧/١٠ط دار الغد العربى.

ولله تعالى حكمة فى ذكر هذه القصة فى القرآن الكريم كى يبين لنا كيف كان تلكؤ قوم موسى، وكيف سردوا الأعذار ليسوفوا ويماطلوا فى تنفيذ أمر الله، وكان تلكؤ بنى إسرائيل يتضمن أسئلة للتسويف، وانقلب تسويفهم عليهم، لقد أصبح التسويف تشديدا فى تعيين البقرة فشدد الله عليهم، وظنوا أن نبى الله موسى يسخر منهم حينما أمرهم أن يذبحوا بقرة وهذا يدل على ضعف إيمانهم رغم آيات الحق سبحانه التى أمدهم بها من فلق البحر،وإنقاذهم من ظلم فرعون،ورزقهم بالمن والسلوى، وتفجير الماء لهم بعدد الأسباط وغير ذلك ... وذلك الظن بالسخرية فسره بعض العلماء بأن سببه أنهم رأوا من قبل قوما يعبدون العجل[١] وان بعضهم قد عبد العجل بالفعل، ولذلك يوضح موسى(عليه السلام) أن الأمر صادر من الحق سبحانه وأن السخرية أو الاستهزاء هو نوع من الجهل لذلك يستعيذ بالله أن يكون من الجاهلين[٢]

واختار الله تعالى البقرة من بين الحيوانات كى يذبحها بنو إسرائيل دون غيرها لما تتصف به البقرة من الغباء والبلادة ، فكما اتصف بنو إسرائيل بالغباء والتشدد والتلكؤ فى مراجعة موسى واستجابتهم لأمر الله اختار الله تعالى لهم حيوانا يتصف بنفس الصفات.

ومن الحكم السامية فى قصة البقرة، الرد على جحود بنى إسرائيل باليوم الآخر، فقد أمرهم أن يذبحوا بقرة ثم يأخذوا جزءا منها بعد ذبحها فيضربوا به القتيل الذى لا يعرفون قاتله، وتدب الحياة فى القتيل ويرشد عن قاتله هكذا يلفت الحق سبحانه بنى إسرائيل إلى القضية الأساسية التى يشكون فيها وهى اليوم الآخر وقدرة الله تعالى على البعث، إن جزءا من بقرة مذبوحة بأمر الله أن يضرب به رجل قتيل فتدب فيه الحياة.

ورب سائل: ما ميزة البقر على غيره فى الاختيار لإحياء القتيل ؟

---

١ - سوف يأتى الحديث عن قصة عجل بنى إسرائيل وعبادتهم له عقب انتهاء الحديث عن قصة البقرة.

٢ - ينظر : قصص الحيوان للشيخ الشعراوى : ١٩٣ ، ١٩٤ .

أجاب الشيخ/عبد اللطيف السبكى عن هذا التساؤل فقال:ونحن لا نحسب أن للبقر تمييزا وإنما هى وسيلة عرف مثلها عندهم سابقا فقد كانوا من قبل حين الاتهام والتكاذب يجتمع وجوه القوم من أقرب المواضع إلى مكان القتيل، ثم يتقدمون إلى بقرة مذبوحة فيغسلون أيديهم ويبسطونها على جسمها ويقسمون على البراءة مما يعزى إليهم، فمن امتنع عن هذا الصنيع كان فى اعتبارهم مسئولا، وهذه أساليب بدائية تعارفوها ثم بقيت فيهم، وتكليفهم فى هذه القصة بالذبح والضرب قريب من وسيلتهم تلك،أو تكون حكمة هذا التكليف مطوية على امتهان البقر بذبحه بعد تقديسه،وتعليمهم أنهم يعبدون حيوانا مأكولا لهم فكيف يكون إلههم؟

وقصارى الحديث:أن لنا فى هذا النبأ حظا من العظة،ونصيبا من العلم وعلينا أن نفطن لما جرته إسرائيل على نفسها، فنحذر إسرافها، ونتحاشى سبيلها، ونستوعب فى آيات الكتاب أحداثها، ونأخذ لأنفسنا من قصصهم ما لم يأخذوا لأنفسهم من عبرة والسعيد من وعظ بغيره[١]

وهكذا يتبين لنا أن القصص القرآنى لا يتأتى ذكره لمجرد التسلية، ولكن تتبع منه العظات والعبر، تتبع منه القوانين التى تحكم قضايا الحياة وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٢]

ب- قصة عجل بنى إسرائيل :

العجل حيوان من فصيلة الأبقار، وهو الذكر الذى يقوم بتلقيح الأبقار ويساعد فى جر الساقية والمحراث[٣]،وهو أقوى بدنا من البقرة، وقد عبدته الشعوب القديمة مثل قدماء المصريين كما سيأتى لأنه كان رمزا للقوة والخصوبة، يقول

١- ينظر : نفحات القرآن الكريم للشيخ / عبد اللطيف السبكى: ص ٥٣ ، ٥٤ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٢م .

٢ - سورة يوسف (عليه السلام) الآية (١١١).

٣ - كان ذلك فى قديم الزمان أما الآن فقد ظهرت الآلات الحديثة المتطورة التى تستخدم فى هذا الشأن .

الشيخ الدميرى: العجل ولد البقرة، والجمع العجاجيل، والأنثى عجلة وسمى عجلا لاستعجال بنى إسرائيل عبادته وكانت مدة عبادتهم له أربعين يوما فعوقبوا فى التيه أربعين سنة فجعل الله كل سنة فى مقابلة يوم [١]

وقد ورد لفظ العجل فى القرآن الكريم فى عشرة مواضع منها ثمانية مواضع تتحدث عن عجل بنى إسرائيل الذى اتخذوه إلها من دون الله[٢] وموضعان يتحدثان عن العجل الذى قربه نبى الله إبراهيم (عليه السلام) قرى لملائكة الرحمن[٣] ومن الآيات الصريحة التى تحدثت عن عبادة بنى إسرائيل للعجل قوله تعالى: ﴿ واتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى من بعْده منْ حُليّهمْ عجْلاً جسدًا لّهُ خُوارٌ أَلَمْ يروْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلّمُهُمْ ولاَ يهْديهمْ سبيلا اتَّخذُوهُ وكانُواْ ظالمين ﴾[٤]يخبر الله تعالى فى هذه الآية عن ضلال من ضل من بنى إسرائيل فى عبادتهم العجل الذى اتخذه لهم السامرى من حلى القبط الذى استعاروه منهم، فشكل لهم منه عجلا جسدا لا روح فيه، وقد احتال بإدخال الريح فيه، حتى صار يسمع له خوار أى صوت كصوت البقر، وإنما أضاف الصوت إليه لأنه كان محله عند دخول الريح جوفه، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى وأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور حيث يقول إخبارا عن نفسه الكريمة :﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَك مِن بعْدِك وأَضلَّهُمْ السَّامِرِيُّ ﴾ [٥]

ويمكن ذكر قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل باختصار فيما يلى: حين ذهب موسى (عليه السلام) لمناجاة ربه أغراهم السامرى وكان يسمى بموسى بن ظفر من قوم يعبدون البقر،فجمعوا له حليهم فصهرها واتخذ منها تمثالا على صورة عجل، ونبذ فى فمه قبضة من التراب الذى وطئه جبريل بفرسه حين عبروا البحر قادمين من

---

١ - حياة الحيوان: ٢ / ١١١ .

٢ - هى سور البقرة الآيات ٥١ ، ٥٤ ، ٩٢ . ٩٣ والنساء ١٥٣ والأعراف الآيتان ١٤٨، ١٥٢ ، وطه ٨٨ .

٣ - هما فى سورتى هود ٦٩ والذاريات ٢٦ [ويراجع ما سبق فى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (ع ، ج ، ل) ص ٥٦٨]

٤ - سورة الأعراف الآية (١٤٨)

٥ - بعض الآية (٨٥) من سورة طه ، [ويراجع: تفسير ابن كثير: ٣ / ٥٢١]

مصر إلى سيناء فتحول هذا العجل إلى جسد له خوار، فسجد له بنو إسرائيل وعبدوه من دون الله، كان كلما خار سجدوا له وإذا سكت دفعوا رءوسهم... وغضب موسى (عليه السلام) على قومه حين عاد ورأى قومه على هذه الحالة من الضلال ، وألقى باللوم على أخيه هارون وقال له كما قص القرآن: ﴿ يا هارُونُ ما منعك إذْ رأيْتَهُمْ ضلُّوا ﴾ [1] ولكن ماذا يفعل هارون أمام هذا الطغيان الشديد ؟ وأمام هذا الإضلال الذى فعله السامرى بهؤلاء القوم الذين سحرتهم تلك الآية المادية المحسوسة ؟ .. لقد تحول العجل الذى صنع من الذهب أمام أنظارهم وفى وهمهم وخيالهم إلى عجل له صوت يسمع فكيف لا يفتتون به ؟ واتجه موسى إلى السامرى يصب غضبه عليه ودعا عليه بأن يكون عقابه فى الحياة أن يقول: لا مساس وله موعد مع العقاب الشديد فى الآخرة ... فكان السامرى يهيم فى البرية مع السباع والوحوش لا يجد أحدا يكلمه أو يحدثه وقيل أصيب بمرض شديد فى جسمه يتألم إذا مسه أحد ، وأما العجل فقد حرقه موسى(عليه السلام) وذراه فى البحر حتى لا يبقى له أثر.[2]

واختار السامرى العجل دون غيره من المخلوقات الحيوانية لأنهم حين خروجهم من مصر رأوا قدماء المصريين وهم يعبدون العجل لمزية ظنوا أنها فيه، فقد كانوا يرون فيه مظهر قوة، كما عبد الآخرون الشمس حين رأوا فيها مظهر قوة وكذلك من عبدوا القمر والنجوم، وقدماء المصريين عبدوا العجل لأن فيضان النيل كان يغمر الأرض بالمياه وكانوا يستخدمون العجل حين يريدون حرث الأرض.[3]

---

١ - سورة طه الآية (٩٢) .

٢ - يراجع قصة عجل بنى إسرائيل فى تفاسير: الرازى:٧/٢٨٣ والبيضاوى مع حاشية الشهاب عليه:٤/٢٧٣ والبحر المحيط: ٤/٣٩٢ والنيسابورى: ٩/١٤٦١ وأبى السعود: ٣/ ٢٧٣ والظلال: ٩/ ١٣٧٣ وكذلك فى سلسلة القصص القرآنى د / حمزة النشرتى وآخرون: ١٧ / ١٠٩ ، ١١٠ .

٣ - قصص الحيوان للشيخ الشعراوى : ٢٠٣ .

مما سبق يتبين لنا أن بنى إسرائيل يصعب عليهم الاستقرار على حال واحدة وإن كانت هذه الحال من أسعد الأحوال،فهم قوم متناقضون، مترددون متحيرون لا يدرون ماذا يفعلون كثير والشكوى والضجر، قليلو الحمد والشكر على النعمة نظرتهم أحيانا سطحية ساذجة وتفكيرهم بدائى متأثر بالتقليد، والتقليد داء يسرى فى الأمة كما يسرى فى الفرد من حيث لا يشعر، أرادوا تقليد المصريين الذين عاشوا معهم فى عبادة الأصنام والأوثان، وأكد صنيعهم للوثنية ما وجدوه من عكوف على الأصنام عند الأقوام الذين سبقوهم فى فلسطين، ووجد موسى السامرى رغبتهم باتخاذ العجل إلها فصاغه لهم بذكائه من الحلى، ولكنهم لم يفكروا فى جدارة العجل للألوهية، وظلموا أنفسهم إذ إن هذا العجل لا يمكنه أن يكلمهم ولا يمكن أن يهديهم إلى الصواب والرشد، فهو إما جماد وإما حيوان عاجز فى الحالين فإنه لا يصلح للألوهية[١].

الجزاء من جنس العمل :

بين الحق -تبارك وتعالى- جزاء من ينحرف عن الفطرة السليمة ويبتعد عن شرع الله وعن طريقه المستقيم كما فعل بنو إسرائيل بأن عبدوا العجل من دون الله فماذا كان جزاؤهم ؟

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾[٢] والمراد باتخاذه أى اتخاذه فى غير ما خلق له بأن جعل إلها ومعبودا من دون الله، أما اتخاذه فيما خلق له فلا غبار عليه بأن يتخذ مذبوحا لأكل لحمه، أو يثير الأرض أو يسقى الحرث ويدير السواقى فلا بأس بذلك ولا ينال فاعله الغضب من الله والذلة فى الدنيا .

ومن المعلوم أن الأمر ليس خاصاً ببنى إسرائيل بل وكل من يفعل فعلتهم الشنعاء وكل مفتر يتجاوز حده فوق ما شرعه الله لابد أن يناله هذا الجزاء، لأن ربنا حين يقص علينا ما حدث فى تاريخ بنى إسرائيل فإنه يريد من وراء ذلك

---

١ - التفسير المنير أ . د / وهبة الزحيلى : ٩/ ٩٧ ، ٩٨ .

٢ - سورة الأعراف الآية (١٥٢)

سبحانه أن يعتبر السامع للقصة فى نفسه واعتبار السامع للقصة فى نفسه لا يتأتى إلا بأن يقول له الله تنبيها وتحذيرا ﴿ وكَذَلِك نَجْزِي الْمُفْتَرِين ﴾ أى: احذر أن تكون مثل هؤلاء فينالك ما نالهم وسبحانه ينبه كلا منا لينتفع من هذه العبرة وهذه اللقطة فإن القصص القرآنى من أهداف وروده العظة والعبرة . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ثانيا : الضأن والمعز :

وردت لفظتا الضأن والمعز فى آية واحدة هى قوله تعالى:﴿ثَمانِيةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]

أما الضأن: فهى ذوات الصوف من الغنم، وهى جمع: ضائن والأنثى: ضائنة، والجمع: ضوائن، وقيل: هو جمع لا واحد له[2] والآية السابقة جاءت ترد على المشركين الذين كانوا يحرمون ما لم يحرم الله فقد حرموا على أنفسهم أشياء أشار إليها قوله تعالى: ﴿ مَا جعلَ اللّهُ من بَحيرة ولاَ سآئبة ولاَ وصيلَة ولاَ حَامٍ ولَـكنّ الّذين كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ علَى اللّه الْكَذبَ وأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقلُونَ ﴾[3]كما أشار إليها قوله(ﷻ): وقَالُواْ هـذه أَنْعامٌ وحرْثٌ حجْرٌ لاَّ يطْعمُها إِلاَّ من نَشَاء بزَعْمهمْ وأَنْعامٌ حُرّمتْ ظُهُورُها وأَنْعامٌ لاَّ يَذْكُرُون اسْمَ اللّه علَيْها افْتراء علَيْه سيَجْزيهم بمَا كَانُواْ يَفْتَرُون* وقَالُواْ ما في بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ومُحرَّمٌ علَى أَزْوَاجِنَا وإِن يكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سيَجْزِيهِمْ وصفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[4]

---

١ - سورة الأنعام الآية (١٤٣).

٢ - ينظر : لسان العرب مادة (ض . أ . ن) ١٣ / ٢٥١ .

٣ - سورة المائدة الآية (١٠٣)، وقد سبق التعريف بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام أثناء التمهيد للمطلب الأول بالهامش .

٤ - الآيتان (١٣٨ ، ١٣٩) من سورة الأنعام ، والأنعام الحرث الحجر: أى ما جعلوه لآلهتهم انعام وحرث محجورة أى ممنوعة محرمة لا يطعمها إلا الرجال دون النساء ينظر : صفوة البيان لمعانى القرآن : ١/ ٢٤٤ .

فالإسلام جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويبين للناس معالم الهدى ويهديهم إلى سبيل الرشاد، ويصحح لهم ما كانوا غارقين فيه إلى آذانهم من أخطاء وضلالات .

يقول الحافظ ابن كثير: هذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام وجعلوها أجزاء وأنواعا: بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما وغير ذلك من الأنواع التى ابتدعوها فى الأنعام والزروع والثمار فبين أنه تعالى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشا، ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأن وسواد وهو المعز ذكره وأنثاه وإلى أبل ذكرها وإناثها وبقر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من أولادها بل كلها مخلوقة لبنى آدم أكلا وركوبا وحمولة وحلبا[1] وغير ذلك من وجوه المنافع كما قال تعالى: ﴿ وأنزل لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾[2].

وقد عبر القرآن الكريم عن الضأن بلفظ الغنم من ذلك قوله تعالى:﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ... ﴾ الآية[3] وقوله(ﷺ): ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[4]وقوله سبحانه: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [5]

يقول الإمام القزوينى: جعل الله البركة فى نوع الغنم فتراها تلد فى كل عام مرة واحدة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلئ منها وجه الأرض بخلاف السباع فإنها

١- يشير ابن كثير من خلال كلامه هذا إلى ما تحدثت عنه سورة الأنعام من ضلالات وباطيل العرب قبل الإسلام فى أمر التحليل والتحريم وذلك فى الآيات (١٣٨ - ١٤٤)

٢ - بعض الآية (٦) من سورة الزمر ، وينظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٣ .

٣ - بعض الآية (١٤٦) من سورة الأنعام .

٤ - بعض الآية (١٨) من سورة طه .

٥ - سورة الأنبياء (عليهم السلام) الآية (٧٨).

تلد ستا وسبعا ولا يرى منها إلا واحدة فى أطراف الأرض. والغنم مال مبارك محبوب حتى لو أرادوا مدح إنسان قالوا: إنه كبش من الكباش [١]

أخرج الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عَنْ أَبِى سعيد الْخُدْرِىِّ(ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ ومواقع الْقَطْرِ، يفرُّ بِدِينِهِ مِن الْفِتَنِ »[٢]. ففى الحديث دلالة على فضل الغنم ورعيه على غيره من الحيوان لما فى رعيه من التواضع وترك الاستعلاء والظهور، وقد رعى الأنبياء والصالحون الغنم،قال(ﷺ) فى الحديث الصحيح:« مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ». فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ « نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ»[٣]. وفى ذكر النبى(ﷺ) لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله فيه تواضع جم لربه وتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه الأنبياء عليهم السلام .

وقد تحدث العلماء عن الحكمة من رعى الأنبياء للأغنام قبل النبوة فقالوا: الحكمة فى إلهام الأنبياء من رعى الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن فى مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها فى المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة نما يحصل لهم من التدرج على ذلك برعى الغنم[٤] هذا بالنسبة للضأن .

١- ينظر : عجائب المخلوقات : ٢٨٩ .

٢ - أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب: الفتن ، باب : التعرب فى الفتنة [ينظر : فتح البارى : ١٩/ ٣٢ حديث رقم ٧٠٨٨].

٣ - أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب: الإجارة، باب : رعى الغنم على قراريط [ينظر: فتح البارى : ٧/ ٢١٥ حديث رقم ٢٢٦٢].

٤ - ينظر : فتح البارى للحافظ ابن حجر العسقلانى : ٧/ ٢١٦ .

وأما المَعز: فهى ذوات الأشعار والأذناب القصار وهو اسم جنس ويقال فيها المعز بفتح الميم والمعز بكسر الميم والأمعوز وهى العنز وتجمع على مواعز[١] والمعز نوع من الغنم خلاف الضأن لم يرد فى القرآن إلا فى آية واحدة هى قوله تعالى: ﴿ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ومِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ [٢] وهى تمتاز بغزارة اللبن وثخانة الجلد وما نقص من إلية المعز زاد فى شحمه ولذلك قالوا: إلية المعز فى بطنه، ولما خلق الله تعالى جلد الضأن رقيقا غزر صوفه، ولما خلق جلد الماعز ثخينا قلل شعره فسبحان اللطيف الخبير.[٣]

وكما سبق أن أشرت أن الآية السابقة جاءت فى معرض الاحتجاج على المشركين فى أمر التحليل والتحريم بأهوائهم لأن التحليل والتحريم حق الله وحده، فالله تعالى يبين فى الآية أن الأزواج ثمانية من الضأن اثنين وهما: الكبش والنعجة، ومن المعز اثنين وهما: التيس والعنزة، وما دام من هذا اثنان ومن هذا اثنان يكون أربعة أزواج ذكر الضأن زوج وأنثى الضأن زوج وذكر الماعز زوج وأنثى الماعز زوج ثم يقول سبحانه مبكتا وموبخا لهم: ﴿ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حرَّم أمِ الأُنثَيَيْنِ ﴾ أى: يا من حللتم وحرمتم وقلتم هذا لشركائنا وهذا لله، وهذا حلال لذكورنا محرم على أنثانا وادعيتم أن هذا من عند الله، قولوا لنا: ماذا حرم الله ؟ هل حرم الذكرين أو الأنثيين ؟ أنتم مرة تحلون الذكر ومرة تحرمونه، ومرة تحلون الأنثى ومرة تحرمونها، وهذا دليل على تخبطكم فلو كان هذا من عند الله لكان حرم الذكرين أو حرم الأنثيين وهنا لا يجد المشركون جوابا، وكذلك الأمر فى الإبل والبقر: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٤]

---

١ - ينظر : لسان العرب مادة (م ٠ ع ٠ ز) ٥/ ٤١٠ ٠

٢ - بعض الآية (١٤٣) من سورة الأنعام ٠

٣ - عجائب المخلوقات : ٢٩٠ ٠

٤ - بعض الآية (١٤٤) من سورة الأنعام ٠

ثالثا : الإبـل :

ورد ذكرها فى القرآن الكريم مرتين: إحداهما فى قوله تعالى: ﴿ومن الإبل اثْنَيْنِ ومن الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حرّم أم الأُنثَيَيْنِ ...﴾[1] الآية. والثانية: فى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا ينظُرُون إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [2] أما الآية الأولى فقد وردت فى سدد التشريع الذى أحل لنا الأنعام ننتفع بها فى وجوه المنافع المختلفة، وقد سبق توضيح ذلك فى أثناء الحديث عن الضأن والمعز، وأما الآية الثانية فقد جاءت تدعو النـاس - وخاصة المشركين - إلى التدبر والتفكر فى خلق الله الدال على قدرته وعظمته، وأنه تعالى لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء.

قال المفسرون: لما ذكر الله (ﷻ) أمر أهل الدارين تعجب الكفـار مـن ذلـك فكذبوا وأنكروا فذكرهم الله صنعته وقدرته وأنه قـادر علـى كـل شـئ كمـا خلـق الحيوانات والسماء والأرض، ثم ذكر الإبل أولا لأنها كثيرة فـى العـرب، ولـم يـروا الفيلة فنبههم جل ثناؤه على عظم من خلقه قد ذلـله للصغير يقـوده وينيخـه وينهضـه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقيل حمله وليس فى ذلك شـئ مـن الحيوان غيره، فأراهم عظيما من خلقه مسخرا لصغير من خلقـه يـدلهم بـذلك علـى توحيده وعظيم قدرته، والإبل لا واحد لها من لفظها وهى مؤنثة لأن أسـماء الجمـوع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم[3].

يقول أبو السعود -عند تعرضه لتفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا ينظُرُون إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾-استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية، وما هـو مبنـى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون. بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكـاره، والهمزة للإنكار والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، وكلمة " كيـف " منصوبة بما بعدها، معلقة لفعل النظر، والجملة فى حيز الجر على أنها بدل اشتمال من " الإبل " أى: أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه، ويستبعـون وقوعه من قدرة

---

١ - بعض الآية (١٤٤) من سورة الأنعام .

٢ - سورة الغاشية الآية (١٧).

٣ - ينظر : تفسير القرطبى : ٢٠ / ٣٨ ط دار الحديث بتصرف واختصار.

الله(ﷻ)، فلا ينظرون إلى الإبل التى هى نصب أعينهم يستعملونها كل حين، إلى أنها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقه سائر أنواع الحيوانات، فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة بتأتى ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة، كالنوء بالأوقار الثقيلة، وجر الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة، وفى صبرها على الجوع والعطش، حتى إن أظماءها لتبلغ العشر فصاعدا، واكتفائها باليسير، ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك، مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم، وفى انقيادها مع ذلك للإنسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض، حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء، ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير[١].

والإبل من الحيوانات العجيبة، وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم إياها، وهو أنه حيوان عظيم الجسد شديد الإنقياد، ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وهو يمشى بكل هذا فسبحان الخالق الذى أحسن كل شئ خلقه.

وقد تحدث الفخر الرازى عن بعض خواص الإبل فقال: الإبل له خواص منها: أنه تعالى جعل الحيوان الذى يقتنى أصنافا: فتارة يقتنى ليؤكل لحمه،وتارة ليشرب لبنه،وتارة ليحمل الإنسان فى الأسفار، وتارة لينقل أمتعة الإنسان من بلد إلى بلد،وتارة ليكون له به زينة وجمال هذه المنافع بأسرها حاصلة فى الإبل...وإن شيئا من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال فكان اجتماع هذه الخصال فيه من العجائب[٢]

---

١ - تفسير أبى السعود : ٩/ ١٥٠ ، ١٥١ بتصرف .

٢ - مفاتيح الغيب: ١٦ / ٣٨٠ بتصرف واختصار وتفسير ابن كثير : ٨/ ٣٥٧

وتنوعت تعبيرات القرآن الكريم عن الإبل: فتارة يطلق عليها البدن وتارة الجمل وتندرج تحته الناقة، وكثيرا ما يعبر القرآن عن الإبل بالأنعام ويمكن مراجعة ذلك بالتفصيل من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم[١]

ومما يدل على مكانة الإبل أن رسول الله (ﷺ) ربط بين تفلت القرآن إذا لم يداوم الرجل على قراءته وتفلت الإبل فى عقلها وذلك فى حديثه الشريف حيث قال: « تَعاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَ الَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإِبِلِ فِى عُقُلِها ».[٢] وقال(ﷺ)فى حديث آخر:{ الإبل عز لأهلها والغنم بركة والخير معقود فى نواصى الخيل إلى يوم القيامة }[٣]

وقد نهى النبى(ﷺ) عن تجويعها أو التقصير فى حقها من ذلك ما أخرجه أبو داود فى سننه عن عبد الله بن جعفر قال: أردفنى رسول الله (ﷺ) خلفه ذات يوم فأسر إلى حديثا لا أحدثه أحدا من الناس ... فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبى(ﷺ) حن وذرفت عيناه فأتاه النبى (ﷺ) فمسح ذفراه فسكن فقال(ﷺ) من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لى يا رسول الله ، فقال: أفلا تتقى الله فى هذا البهيمة التى ملكك الله إياها فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه[٤] هذا هو الرسول(ﷺ) الرءوف الرحيم يقول فيه رب العزة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [٥]وقد حث(ﷺ) على الرفق ورغب فيه

١- ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (ب ٠ د ٠ ن) ص ١٤٧، ومادة (ج٠ م٠ ل) ص٢٢٥، ومادة (ن ٠و٠ق) ص ٨٩٩، ومادة (ن ٠ ع ٠ م) ص ٨٧٩ ، ٨٨٠ ٠

٢ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب: الأمر بتعهد القرآن [ينظر : شرح صحيح مسلم : ٦/ ٦٤ حديث رقم ٧٩١]

٣ - الحديث ذكره الحافظ جلال الدين السيوطى فى الجامع الكبير ٣٧٨٦/١ من رواية ابن ماجة والطبرانى فى الكبير عن عروة البارقى ورجاله ثقات وهو فى الجامع الصغير:١/ ١٢٢ برقم ٣٠٣٩ من رواية ابن ماجة ورمز له بالصحة ٠

٤ - أخرجه أبو داود فى سننه باب ما يكره من الخيل: ٣/ ٢٣ حديث رقم ٢٥٤٩، والحديث إسناده صحيح ينظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند ٢/ ٣٦٨ حديث رقم ١٧٥٤ ط دار الحديث٠ القاهرة ٠

٥ - سورة الأنبياء (عليهم السلام) الآية (١٠٧)٠

لجميع الأشياء من ذلك قوله (ﷺ): « إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ولاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ».[١] ويقول فى حديث آخر: « منْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ». [٢] ويقول للسيدة عائشة: « يا عائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويُعْطِى على الرِّفْقِ ما لاَ يُعْطِى عَلَى الْعُنْفِ ومَا لاَ يُعْطى عَلَى ما سِوَاهُ ».[٣]

وهكذا جاء الإسلام مهذبا للنفوس حاثا على الخير داعيا إلى الرحمة، وكما أمر الإنسان بالرفق والشفقة وحسن العشرة فى حق أخيه الإنسان، أمره بالشفقة والحنان وحسن الرعاية لما ملكه رقابه، وسخره لمنافعه، وذلله له من الحيوان، وأنذر بالعقاب من قسا عليه بغير حق مشروع، ولم يراع أمر الله فيه، فكانت دعوة الإسلام إلى الرفق بالحيوان عن طريق كتاب الله تعالى ورسوله(ﷺ) منذ أربعة عشر قرنا دعوة خير وبر ورحمة وإحسان، سبقت بها سائر دعاة الرفق بالحيوان فى هذه الأزمان ولله تعالى المنة والحجة البالغة ومنه الرحمة لجميع خلقه.

ومن وصايا رسول الله (ﷺ) بالإبل خاصة قوله فى الحديث الصحيح: «إِذَا سافَرْتُمْ فِى الْخِصْبِ فَأَعْطُوا الإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ وإِذَا سافَرْتُمْ فِى السَّنَةِ فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ وإِذَا عَرَّسْتُمْ بِاللَّيْلِ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهَوَامِّ بِاللَّيْلِ».[٤] يقول العلامة النووى فى تعليقه وشرحه للحديث: الخصب بكسر الخاء: وهو كثرة العشب والمرعى وهو ضد الجدب، والمراد بالسنة هنا: القحط ومنه قوله

---

١ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب: البر والصلة ، باب : فضل الرفق [ينظر : شرح صحيح مسلم للنووى : ١٦ / ١٢٥ حديث رقم ٢٥٩٤].

٢ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب: البر والصلة ، باب : فضل الرفق [ينظر : شرح صحيح مسلم للنووى : ١٦ / ١٢٤ حديث رقم ٢٥٩٢].

٣ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب: البر والصلة ، باب : فضل الرفق [ينظر : شرح صحيح مسلم للنووى : ١٦ / ١٢٤ حديث رقم ٢٥٩٣].

٤ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب: الإمارة ، باب : مراعاة مصلحة الدواب فى السير [ينظر : شرح صحيح مسلم للنووى : ١٣ / ٥٨ حديث رقم ١٩٢٦].

تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ ﴾ [١] أى بالقحوط، ومعنى الحديث: الحث على الرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها، فإن سافروا فى الخصب قللوا السير وتركوها ترعى فى بعض النهار وفى أثناء السير فتأخذ حظها من الأرض بما ترعاه منها، وإن سافروا فى القحط عجلوا السير ليصلوا المقصد وفيها بقية من قوتها، ولا يقللوا السير فيلحقها الضرر لأنها لا تجد ما ترعى فتضعف ويذهب نقيها وربما كلت ووقعت[٢].

ومن مزايا الإبل أن الله تعالى اختارها لتكون معجزة عظمى لسيدنا صالح(عليه السلام) وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك باستفاضة فى أكثر من موضع[٣]، وقد تميزت الإبل بأنها أجمع المنافع من سائر الحيوان فهى حلوبة وركوبة وأكرلة وحمولة، من أجل ذلك نجد النعمة بها أعم، وظهور القدرة فيها أتم، وهذه الصفات المجموعة فيها توجب على العاقل أن ينظر فى خلقها وتركيبها ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه ولا يزال العلماء يجدون فى الإبل آيات كلما بحثوا مصداقا لحض الله تعالى لهم على النظر فى خلقه المعجز حيث قال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [٤]

وقفة قصيرة :

أحب فى خاتمة هذا المطلب أن أبين أن الأنعام بجميع أنواعها سواء من البقر أو الضأن أو الإبل جميعها حلال طيب وذلك بنص كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

---

١ - بعض الآية (١٣٠) من سورة الأعراف .

٢ - ينظر : شرح صحيح مسلم للنووى : ١٣/ ٥٨ ، ٥٩ .

٣ - يمكن مراجعة ذلك فى سور : الأعراف الآيات: (٧٣ : ٧٩) وهود (عليه السلام) الآيات: (٦٤:٦٨) والشعراء الآيات: (١٤١ : ١٥٩)

٤- سورة الغاشية الآية (١٧) ومن أراد المزيد من البراهين الدالة على قدرة الله فى خلق الإبل يراجع تعليق لجنة التحقيق لتفسير المنتخب فى تفسير القرآن الكريم عند تعرضهم لتفسير قوله تعالى:﴿ أَفَلَا ينظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ص ١٠٩١، ١٠٩٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط العشرون سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .

تَعْبُدُونَ﴾[١] ويقول فى آية أخرى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[٢] وقال جل شأنه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾[٤] وقال عز من قائل: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[٥] وهذه الأنعام سالفة الذكر بجميع أنواعها من الحلال الطيب الذى رزقنا الله تعالى، فعلى الإنسان أن يأكل منها ويشكره تعالى على نعمه المتعددة وعطائه المديد .

ولم يحرم الله تعالى الطيب من الأشياء إلا فى مقام العقوبة لأناس استحقوا ذلك كما فعل بأمة اليهود جزاء لهم على بغيهم وانتهاكهم حرمات الله تعالى، بين ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[٦] وقول الحق: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٧] كانت تلك معاملة الله تعالى لهؤلاء الباغين الظالمين جزاء وفاقا لهم، فلما جاء الإسلام الحنيف رفع هذا التحريم لبعض الطيبات الذى كان تأديبا مؤقتا لشعب ظالم وعات .. وشرع تكفير الخطيئة أمورا أخرى غير تحريم الطيبات وأصبح معروفا فى الإسلام أن التحريم للأشياء يتبع الخبث والضرر فما كان خالص الضرر أو ضرره أكثر من نفعه فهو حرام، وما كان خالص النفع أو نفعه أكثر من ضرره فهو حلال وهذا ما صرح به القرآن

---

١ - سورة البقرة الآية (١٧٢).

٢ - سورة المائدة الآية الأولى .

٣ - بعض الآية (٤) من سورة المائدة .

٤ - بعض الآية (٥) من سورة المائدة .

٥ - بعض الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

٦ - سورة الأنعام الآية (١٤٦)

٧ - الآيتان (١٦٠ . ١٦١) من سورة النساء .

فى شأن الخمر والميسر حيث قال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عنِ الْخَمْرِ والْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ومَنَافِعُ لِلنَّاسِ وإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِما ﴾[١] وليس بلازم أن يكون الإنسان المسلم على علم تفصيلى بالخبث أو الضرر فى الشئ الذى حرمه الله فقد يخفى عليه من ذلك ما يظهر لغيره، وقد ينكشف خبث الشئ فى عصر ويتجلى فى عصر لاحق وعلى المؤمن أن يقول دائما:﴿ سمعنا وأطعنا ﴾[٢]، مع العلم القاطع أن المحلل والمحرم هو الله تعالى وحده عن طريق رسوله(ﷺ) فله الحق سبحانه فى أن يحلل ما يشاء ويحرم ما يشاء وليس لرسوله (ﷺ) فضلا عن أحد غيره سوى بيان حكم الله تعالى فيما أحل وفيما حرم قال تعالى : ﴿ وقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[٣] ويقول (ﷺ) فى الحديث الصحيح : « إن الله حد حدودا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم محارم فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها »[٤].

******

---

١ - بعض الآية (٢١٩) من سورة البقرة .

٢ - الحلال والحرام فى الإسلام د / يوسف القرضاوى : ٣٠ ، ٣١ ط مكتبة وهبه.

٣ - بعض الآية (١١٩) من سورة الأنعام .

٤ - أخرجه الحاكم فى المستدرك: ٤/ ١١٥ والدار قطنى فى سننه : ٤/ ١٨٤ وذكره الحافظ ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى (تلك حدود الله فلا تقربوها) [بعض الآية ١٢٩ من سورة البقرة] وصححه كما ذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح: ١٩/ ٣٠٢ وقال له شواهد .

المطلب الثانى

ورود السباع فى القرآن الكريم

تمهيد:

السباع جمع مفرده سبع، والسبع هو الحيوان المفترس وذلك مثل الأسد والذئب والنمر والفهد وما أشبهها، والسبع بضم الباء وفتحها وسكونها ما له ناب أى سن يعدو به على الناس والدواب فيفترسها وسمى بذلك لتمام قوته[١]جاء فى اللسان: السبع يقع على ماله ناب من السباع ويعدو على الناس والدواب فيفترسها، وقيل. السبع من البهائم العادية ما كان ذا مخلب والجمع أسبع وسباع وفى الحديث أنه(ﷺ) نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع[٢]، فالسبع هو ما يفترس الحيوان ويأكله قهرا وقسرا كالأسد والنمر والذئب ونحوها، وأسبع القوم: وقع السبع فى غنمهم، وسبعت الذئاب الغنم: فرستها فأكلتها، وأرض مسبعة: ذات سباع[٣].

وقال القرطبى عند تفسيره لقوله تعالى:﴿وما أكل السَّبُعُ﴾[٤] يريد كل ما افترسه ذو ناب وأظفار من الحيوان كالأسد والنمر والثعلب والذئب والضبع ونحوها هذه كلها سباع،يقال:سبع فلان فلانا أى عضه بسنه[٥]

ومن يتصفح كتاب الله تعالى يجد أنه ورد فيه ذكر بعض السباع المفترسة مثل القرد والكلب والذئب والقسورة ويمكن الحديث عن هذه السباع بالتفصيل حسب ترتيب آيات المصحف الشريف فيما يلى فأقول وبالله التوفيق:

---

١ - ينظر: المفردات: مادة (س ٠ ب ٠ع) ص ٢٢٢ وتفسير القاسمى: ٤ ٢٧ ٠

٢ - الحديث أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب الذبائح والصيد باب أكل كل ذى ناب من السباع ينظر فتح البارى : ١٥/ ٣٤٤ حديث رقم ٥٥٣٠

٣ - ينظر: لسان العرب : مادة (س ٠ ب ٠ ع) ٨/١٤٥ - ١٤٨ ٠

٤ - بعض الآية (٣) من سورة المائدة ٠

٥- تفسير القرطبى : ٦/ ٥٢ ، ٥٣ وابن كثير : ٣/ ٢٧ ٠

أولا: القـــرد :

القرد حيوان ذو ملامح منفرة، وهو دائب الحركة ويـأتى بأفعـال منكـرة، مكشوف العورة هكذا خلقه الله تعالى، ويضرب به المثل فى الذكاء وسرعة الفهـم، ويمكن تلقينه الحرف والمهن أو تدريبه على الألعاب الخطيرة، والقرد يجمع علـى أقراد وأقرد وقرود وقردة كما جاء فى اللسان[١] أما قرود فهو جمع كثرة وأما قردة فهو جمع قلة، وقد ورد فى القرآن الكريم جمع القرد على قردة فى ثلاثة مواضع:

أولها: حين خاطب الحق تبارك ونعالى اليهود يذكرهم بهؤلاء الذين اعتدوا منهم فى السبت فخالفوا أمر الله وانتهكوا الحرمات فتحيلوا على اصطياد الحيتان فـى يـوم السبت الذى كان معظما بعدم العمل فيه فلما فعلوا ذلـك مسـخهم الله قـردة أذلـه صاغرين وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٢].

ثانيها: حين خاطب الله تعالى الذين اتخذوا دين الإسلام هزوا ولعبا من أهل الكتاب قائلا لهم على لسان رسول الله(ﷺ): هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا أننا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل ؟ وهذا ليس بعيب ولا مذلة وإن أكثركم خـارجون عن الطريق المستقيم ثم قل لهم يا محمد: هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا ؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات من لعنـه الله وغضـب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا مما تظنون بنـا وأضل عن سواء السبيل[٣] هذا ما قصه الله علينا فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مَّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

---

١ - ينظر: لسان العرب : مادة (ق ، ر ، د) ٣ / ٣٥٠ .

٢ - سورة البقرة الآية (٦٥).

٣ - ينظر : تفسير ابن كثير : ٣/ ١٦٩ ، ١٧٠ بتصرف .

وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌّ مكانا وأضلُّ عن سواء السبيل ﴾ (١)

ثالثها: حين بسط الله قصة اعتداء اليهود فى السبت وغيره فحل بهم ما حل من العذاب والمسخ وذلك فى قوله تعالى: ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون * وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون* فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾(٢).

ومعنى الآيات: واسأل يا محمد يهود عصرك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم فى المخالفة، والسؤال للتوبيخ والتقريع وبيان أن كفر المعاصرين للنبى(ﷺ) ليس جديدا بل هو موروث، فإن أسلافهم ارتكبوا الذنب العظيم وخالفوا أوامر الله تعالى، وحذرهم من مخالفتك لئلا يحل بهم ما حل بسلفهم، وقصة القرية التى كانت حاضرة البحر مشهورة، وقد جاءت واضحة فى كتاب الله تعالى، وسوف نتحدث عنها باستفاضة عند الحديث عن الخنزير بداية المطلب الثالث، وقد فصلها المفسرون فى تفاسيرهم فلتراجع هناك مخافة التطويل(٣) كما سبق الإشارة إلى أن القرود والخنازير كانت قبل أمة اليهود من قديم الزمان وليست هى من نسلهم ودعمنا هذا الكلام بالأحاديث النبوية الصحيحة فلا داعى لإعادته هنا مرة أخرى.

وقد مسخ الله تعالى من بنى إسرائيل على هيئة القرود والخنازير وذلك نتيجة كثرة أكاذيبهم وأباطيلهم وعدوانهم وتحريفهم وتغييرهم لكتب الله وتعديهم

---

١ - الآيتان (٥٩ ، ٦٠) من سورة المائدة .

٢ - سورة الأعراف الآيات (١٦٣ : ١٦٦).

٣ - تراجع القصة بتمامها فى: الكشاف:٢/ ٥٨٤ ، ٥٨٥ والقرطبى:٧/٢٩٠ - ٢٩٤ وابن كثير: ٣/٥٤٠ - ٥٤٤ ومختصر تفسير البغوى: ١/ ٢٩ .

حدود الله تعالى وعصيانهم أوامره، واستيلاء المطامع والشهوات عليهم فالجزاء من جنس العمل قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[1] قال الجاحظ: المسخ على صورة القردة أشنع والعقاب به أكبر والمسخ على صورة القرود أوجع وأشنع وأعظم فى العقوبة وأدل على شدة السخطة من المسخ على هيئة الخنازير[2].

حكم أكل لحم القرد:

اختلف العلماء فى حكم أكل لحم القرد فذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة والظاهرية والمالكية فى قول لهم إلى حرمته وبهذا قال عطاء وعكرمة ومجاهد ومكحول والحسن وابن رجب المالكى وذلك لأنه سبع فيدخل فى عموم النهى عن السباع، ولأن الله تعالى مسخ ناسا عصاة عقوبة لهم على صورة الخنازير والقرود فيكون من الخبائث المحرمة[3]

وذهب المالكية فى قول لهم إلى حل القرد مطلقا وفى قول آخر لهم إلى إباحته إن أكل الكلأ وإلا كان مكروها[4] وذلك لقوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5] فالقرد لم يرد ضمن المحرمات المذكورة فى الآية فدل ذلك على إباحته، والراجح حرمة أكل القرد لانه مسخ وهو رأى الأكثر من العلماء[6].

---

١ - سورة فصلت الآية (٤٦)

٢ - كتاب الحيوان للجاحظ : ٤/ ١٠٥ .

٣ - يراجع ذلك فى : المجموع شرح المهذب للنووى : ٩/ ١٧ والمغنى مع الشرح الكبير لابن قدامة: ١١/ ٦٧ والمحلى لابن حزم : ٧/ ٤٣٠ .

٤ - ينظر : حاشية الدسوقى مع الشرح الكبير: ٢/ ١٣٧ .

٥ - سورة الأنعام الآية (١٤٥) .

٦ - ينظر : التبيان فى ما يحل ويحرم من الحيوان : ٥٧ .

ثانيا : الكلب :

الكلب: هو الحيوان النباح المفترس، والأنثى: كلبة والجمع: أكلب وكلاب وقد يقال للجمع كليب وعنه اشتق الكلب للحرص ومنه يقال هو أحرص من كلب وهو منقول إما من المصدر الذى هو معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة وكلابا، وإما جمع كلب وسموه بذلك طلبا للكثرة كما سمو سباع وأنمار[١] والكلب حيوان أليف أمين يقوم للإنسان بخدمات جليلة، يحرس المنازل ويرعى الغنم، وهو فى الوقت الحالى يساعد الشرطة فى تعقب المجرمين، وحاسة الشم عنده قوية يكشف بها مواطن المخدرات، والمتصفح لكتاب الله تعالى يجد أن هذا الحيوان ورد ذكره خمس مرات :-

أولها: فى قوله تعالى: ﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأ الّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعهُ الشّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين * ولَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ولَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبع هوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَل الْكَلْب إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلك مَثَلُ الْقَوْمِ الّذِين كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصص لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُون﴾ [٢] قال ابن مسعود نزلت فى بلعم بن باعوراء رجل من بنى إسرائيل[٣]وقيل:نزلت فى أمية بن أبى الصلت قاله عبد الله بن عمرو ابن العاص[٤]وهذا لون من ألوان علوم القرآن يسمى تعدد السبب والنازل واحد خاصة وأن الروايتين المذكورتين صحيحتان وسواء بلعم بن باعوراء أو أمية بن

---

١ - ينظر: المفردات: مادة (ك.ل.ب) ص ٤٣٩ وحياة الحيوان: ٢٧٨/٢ .

٢ - الآيتان (١٧٥ ، ١٧٦) من سورة الأعراف.

٣ - أخرجه النسائى فى تفسيره: ١/ ٥١٠ وقال المحقق: صحيح موقوف تفرد به المصنف ورواه الحاكم: ٢/ ٣٢٥ وصححه وأقره الذهبى والطبرانى فى الكبير رقم ٩٠٦٤ وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح [ينظر : مجمع الزوائد :٧/ ٢٥ والحديث صحيح الإسناد ينظر: المقبول من أسباب النزول : ٣٣٠]

٤ - أخرجه النسائى فى تفسيره:٥٠٨/١ وقال المحقق:صحيح الإسناد تفرد به المصنف ورواه الطبرانى وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح [ينظر مجمع الزوائد:٢٥/٧ وأورده الحافظ فى الفتح:٧ /١٨٩ وعزاه لابن مردويه وقال إسناده قوى والحديث إسناده صحيح ينظر:المقبول من أسباب النزول:٣٣٠]

أبى الصلت الذى نزلت فيه الآية، فالمقصود تشبيه هذا الرجل بالكلب وذلك تحقيرا لشأنه وتصويرا لحالته القبيحة فهو ثابت على موقفه ذى أى حال لا يدع الشر ولا ينتهى عن الضلال إن وعظته ضل وإن تركته ضل وهو شقى بضلاله على أى حال كالكلب الذى يلهث فى أى وقت.

وقد شبه الله تعالى هذا الإنسان بالكلب الذى يلهث دائما لأن الإنسان الذى يتبع هواه لا تكون لأطماعه نهاية، لا يقنع أبدا وهو يلهث دائما وراء ما تعطيه الدنيا من شهوات، فهو يحاول أن يحصل على كل شئ ، المال والصحة والشهرة يملك ما يكفيه حتى آخر عمره ويزيد، ومع ذلك يلهث وراء المال.

قال القتيبى: كل شئ يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث فى حال الكلال وحال الراحة وحال المرض وحال الصحة وحال الرى وحال العطش، فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته فقال: إن وعظته ضل وإن تركته ضل، فهو كالكلب إن تركته لهث وإن طردته لهث كقوله تعالى: ﴿ وإن تَدْعُوهُمْ إلَى الْهُدى لاَ يتَبعُوكُمْ سواء علَيْكُمْ أدعوتُمُوهُمْ أمْ أنتُمْ صامتُون ﴾ [1] وإنما شبهه بالكلب من بين السباع لأن الكلب ميت الفؤاد، وإنما لهاثه لموت فؤاده، وسائر السباع ليست كذلك فلذلك لا يلهث[2].

وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية بأن يقال: فصار مثله كمثل الكلب ... الخ للإيذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها. قوله﴿ ذَّلك مثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآياتِنَا﴾ إشارة إلى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة إلى الكلب أو إلى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها فى الخسة والدناءة أى ذلك المثل السيى مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وهم اليهود حيث أوتوا فى التوراة ما أوتوا من نعوت النبى(ﷺ) وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَص ﴾ أى إذا تحقق أن

---

١ - سورة الأعراف الآية (١٩٣).

٢ - تفسير القرطبى : ٧/ ٣٠٦ ، ٣٠٧ بتصرف واختصار .

المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما أوحى إليك﴿ لعلّهم يتفكّرون ﴾ فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون أنك قد علمته من جهة الوحى فيزدادون إيقانا بك[١]

أما المرات الأخرى التى ورد فيها ذكر الكلب فى القرآن الكريم فقد جاءت فى سورة الكهف قال تعالى: ﴿وتَحْسَبُهُمْ أيْقَاظًا وهُمْ رُقُودٌ ونُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وذَاتَ الشِّمَالِ وكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ولَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[٢] ويقول سبحانه فى آية أخرى: ﴿ سَيَقُولُون ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ويَقُولُون خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ويَقُولُون سَبْعَةٌ وثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا ولَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أحدا﴾[٣] فالآيتان تتحدثان عن أهل الكهف الذين تبعهم كلبهم وأبى أن يفارقهم، وحين دخلوا الكهف لزم الباب، وبسط ذراعيه بالوصيد، أى عتبة الباب، وهذه القصة تدل على وفاء الكلب الذى رافق أصحابه وصمم على البقاء معهم حتى أكرمه الله بهم ونوه بذكره معهم، فشتان بين كلب أهل الكهف والكلب الذى شبه به الخارج عن الحق.

والكلب حيوان نجس يحذر الإسلام منه وخاصة من فمه لأنه دائما يخرج لسانه فتقف عليه الميكروبات والجراثيم وإذا أصاب لعابه إنسانا فإنه يؤذيه، وعضة الكلب خطيرة تحتاج إلى علاج طويل وإلا أصيب الإنسان بمرض الكلب، والسبب فى إخراج الكلب لسانه أن جهازه التنفسى ضيق فيحتاج إلى الاستنشاق من الفم[٤]

والنبى(ﷺ)حذر من لعاب الكلب وأمر بغسل الأوانى التى يلعق فيها سبع مرات ثم يعفر الثامنة فى التراب لأن التراب يقضى على الديدان الخطيرة التى توجد فى

١- تفسير أبى السعود : ٣/ ٢٩٣ ، ٢٩٤ بتصرف واختصار .

٢ - سورة الكهف الآية (١٨).

٣ - سورة الكهف الآية (٢٢).

٤ - قصص الحيوان فى القرآن : ٥٤ ، ٥٥ .

لعابه يقول(ﷺ): « إذا ولغ الكلب فى الإناء فاغسلوه سبع مرات وعفروه الثامنة فى التراب»[١]وقد ثبت فى الطب الحديث أن التراب يتكون من جزئيات صغيرة تحتوى على كائنات حية حيوانية كالديدان الدقيقة أو نباتية كالفطريات، والطحالب والبكتريات الجرثومية بنسبة كمية المحاليل الغذائية الموجودة فيه وهى تفرز مواد تقتل الجراثيم وتبيدها وفى هذا يظهر سر أمر الرسول(ﷺ)فى تطهير الإناء من ولوغ الكلب بالتراب[٢]

أما عن حكم أكل لحم الكلب فقد ذهب الحنفية والحنابلة والشافعية والإمامية إلى حرمة أكل لحمه [٣] واستدلوا على ذلك بما يلى :

١- قوله تعالى: ﴿ ويحرم عليهم الخبائث ﴾ [٤] والكلب مستخبث غير مستطاب ورائحته كريهة [٥]

٢- استدلوا بما رواه أبو ثعلبة الخشنى أن رسول الله (ﷺ) نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع [٦] والكلب له ناب فيكون منهى عنه لدخوله فى عموم النفى .

ومع المساوئ المتعددة للكلب إلا أن فيه الكثير من المزايا من ذلك: قوة حاسة الشم وكذلك يتخذ هذا الحيوان للصيد وحراسة البيوت والمزارع والمواشى، وكذلك الذكاء الحاد حيث يدرب على الألعاب والمهارات فيؤديها بقدرة عجيبة، وهو وفى للإنسان قد يعرض نفسه للموت فى سبيل إنقاذ صاحبه، ومن مزاياه أيضا أنه

---

١ - اخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب: الطهارة، باب: حكم ولوغ الكلب[ينظر: شرح صحيح مسلم للنووى : ٣/ ١٥٠ حديث رقم ٢٨٠]

٢ - معالم القرآن فى عوالم الأكوان ص: ٢٩٥ : ٢٩٦ .

٣ - ينظر تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعى : ٥/ ١٩٥ ط المطبعة الإميرية ببولاق ط الأولى ١٣١٣ هـ والمغنى مع الشرح الكبير لابن قدامة ١١/ ٦٧ ط مطبعة المنار بمصر ط الأولى ١٣٤١ هـ والمجموع شرح المهذب للنووى : ٩/ ١٢ ط دار الفكر وشرائع الإسلام فى مسائل الحلال والحرام للحلى: ٣/ ٢١٩ تحقيق / عبد الحسين محمد على ط الآداب فى النجف الأشرف ط الأولى ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .

٤ - بعض الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

٥ - ينظر المغنى مع الشرح الكبير : ١١/ ٦٧

٦ - الحديث سبق تخريجه من قبل اكثر من مرة .

يساعد الإنسان فى صيد الذبائح وقد أجاز ذلك رسول الله (ﷺ) بشرط أن يذكر اسم الله عند إرساله، أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عَنْ عدىِّ بْن حاتم (رضي الله عنه) قال سألْتُ رسول اللّه (ﷺ) قُلْتُ إنّا قَوْمٌ نَصيد بهذه الْكلاَب فَقَال: « إذَا أرْسلْتَ كلاَبك الْمعلّمةَ وذَكَرْتَ اسْم اللّه عليْهَا فَكُلْ ممّا أمْسكْن عليْك»[1] وقد جاء ما يدل على ذلك فى كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿ يسْألُونَك ماذا أُحلّ لَهُمْ قُلْ أُحلّ لكُمُ الطّيّبات وما علّمْتُم مّن الْجوارح مُكَلّبين تُعَلّمُونَهُنّ ممّا علّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ ممّا أمْسكْن عليْكُمْ واذْكُرُواْ اسْم اللّه عليْه ... ﴾ [2] وقد أجمع المسلمون على إباحة الاصطياد بالكلاب قال القاضى عياض: هو مباح لمن اصطاد للاكتساب والحاجة والانتفاع به بالأكل وثمنه واختلفوا فيمن اصطاد للهو ولكن قصد تذكيته والانتفاع به فكرهه مالك وأجازه غيره فإن فعله بغير نية التذكية فهو حرام لأنه فساد فى الأرض وإتلاف نفس عبثا[3].

ثالثا : الذئب :

الذئب كلب البر والجمع أذؤب وذئاب وذؤبان والأنثى ذئبة وأرض مذأبة كثيرة الذئاب، وهو حيوان من الفصيلة الكلبية برى وحشى من خلقه الاحتيال والنفور دائما يفترس الغنم[4].

والذئب حيوان كثير الخبث ذو غارات وخصومات ومكابرة وحيل شديدة وصبر على المطاولة،وقلما يخطئ فى وثبته، والأنثى أكثر فسادا من الذكر وإذا عجز عن من يقاومه يعوى حتى يأتيه من يسمع عواءه يعاونه،والذئب أشد

---

١ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب: الذبائح، باب: الصيد بالكلاب المعلمة [ينظر: شرح صحيح مسلم للنووى : ١٣/ ٦٢ حديث رقم ١٩٢٩]

٢ - بعض الآية (٤) من سورة المائدة .

٣ - ينظر : شرح صحيح مسلم للنووى : ١٣/ ٦٢ .

٤ - ينضر: لسان العرب: مادة (ذ،أ،ب) ١/٣٧٧ ، ٣٧٨ والتحرير والتنوير: ١٢ / ٢٣١ .

الحيوانات شما وإذا رمى الإنسان وشم منه رائحة الدم لا ينجو منه وإن كان أشد الناس قلبا وأتمهم قوة وسلاحا[١]

ويوصف الذئب بالغدر حتى إنهم يقولون على الإنسان المغتصب لفتاة: ذئب بشرى..ويضرب به المثل في اليقظة ولكن الإنسان ظلمه ونسب إليه جريمة وحشية ما ارتكبها وهى أكله لنبى الله يوسف(عليه السلام) وقد ورد لفظ الذئب فى القرآن الكريم ثلاث مرات جميعها فى سورة يوسف وهى: قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[٤]

كان يعقوب(عليه السلام) نبيا ابن نبى وجده نبى فهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ورزق بأولاد عديدين كان أحبهم إلي قلبه يوسف(عليه السلام) وخاصة لما عرض يوسف عليه رؤياه التى لا تكون إلا لنبى قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[٥] فأحب يعقوب ابنه يوسف وتعلق به أكثر وحذره من أخوته إذا ما قصها عليهم سيكيدون له ويلعب الشيطان برءوسهم، وأشار لابنه أن له مستقبلا باهرا فالله تعالى سيختاره نبيا كوالده وجده، وكان يوسف صغيرا فلم يدرك أبعاد الرؤيا ولم يفكر فيما قاله أبوه،وبدأت أحقاد أخوة يوسف تتزايد عليه، وهم يرون أباهم متعلقا به وعبروا عن ذلك بأن أباهم جاوز الحد فى حب يوسف ونسى عشرة رجال أشداء هم الذين يقومون بالعمل ويجلبون الرزق لهذه الأسرة.

---

١ - عجائب المخلوقات : ٣٠٢ ، ٣٠٣ بتصرف.

٢ - سورة يوسف (عليه السلام) الآية (١٣).

٣ - سورة يوسف (عليه السلام) الآية (١٤).

٤ - سورة يوسف (عليه السلام) الآية (١٧).

٥ - سورة يوسف (عليه السلام) الآية (٤) .

وهنا بدأ تفكيرهم فى الخلاص من يوسف ولكى يحققوا ذلك لابد من إبعاده عن أبيه الحريص عليه المتعلق به، وطرحوا آراءهم وكانت آراء دموية التفكير فى القتل، وهذه حقيقة الإسرائيليين فى كل زمان ومكان هم دمويين يميلون لسفك الدماء، ورأى آخر أن القتل صعب ويمكن إلقاؤه فى الصحراء لا يدرون عنه شيئا، وهو قتل أبشع فإنه سيموت ألف مرة ويتعرض للجوع والعطش والوحوش والزواحف، ورأى ثالث أن الأمرين قاسيان وما داموا يريدون التخلص منه فلا مانع من إلقائه فى بئر هم يستقون منها وتمر بها القوافل فلعل قافلة تأخذه بعيدا عن هذه الديار قال تعالى: ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صالحين * قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1] وكان الأصعب فى الأمركيف ينتزعزن يوسف من أحضان أبيه،وهو لا يطيق فراقه،وجاءوه من باب المصلحة والحرص على يوسف فهوصبى صغير يحتاج إلى المرح والانطلاق للشمس والهواء حتى لا يتعرض للمرض والنحول قال تعالى : ﴿قَالُواْ يا أبانا ما لَكَ لاَ تَأْمَنَّا علَى يُوسُفَ وإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ معنَا غَدًا يَرْتَعْ ويَلْعَبْ وإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ [2]

وأحس يعقوب بالخطر ولمس من كلامهم الحقد والخيانة فتعلق به أكثر وأراد أن يعتذر لهم لعدم صحبته خارج المكان لكنه استجاب لهم واخذوا منه الحجة التى سيحتجون بها بعد الخلاص من يوسف، عبر يعقوب عن حبه ليوسف أنه يحزنه أن يأخذوه مع أنهم أبناؤه وأخوة يوسف، وأضاف أخاف أن تغفلوا عنه فيأتى الذئب ويأكله وكيف للذئب أن يقرب من عشرة رجال أشداء معهم العصى وأدوات القتال، والمعروف عن الذئب أنه يأخذ الحمل المبتعد عن القطيع، لكنه لا يقترب من مجموعة رجال أشداء أو كلب ينبح، وتضاحكوا كيف للذئب أن يفعل ذلك ويوسف بينهم إذن لا معنى لحياتهم، ودبر أخوة يوسف المؤامرة وألقوه فى قاع البئر، ثم جاءوا إلى أبيهم يبكون وانتحلوا قصة مكذوبة، وكل واحد منهم يضيف للقصة أبعادا

---

١ - الآيتان (٩ ، ١٠) من سورة يوسف (عليه السلام).

٢ - الآيتان (١١ ، ١٢) من سورة يوسف (عليه السلام) .

كشهود الزور أخبروه أنهم عملوا سباقا وتركوا يوسف يحرس المتاع، ولما ابتعدوا جاء الذئب وأكله ولم يبق منه لا عظما ولا لحما وإنما أبقى على ثوبه الذى سكبوا عليه دم طائر لطخوه بدماء كاذبة، والعجيب أنهم بعد أن قصوا روايتهم عاتبوا أباهم لأنه لا يصدقهم، والأب المغلوب على أمره لم يتكلم بعد.

وهل كان الذئب من النبل وكرم الأخلاق بحيث طلب من يوسف أن يخلع ثوبه ثم افترسه، وليس فى الثياب أنياب ولا مخالب، والدماء التى عليه توحى بأنها دماء طائر، فدم الإنسان معروف وتأكد ليعقوب (عليه السلام) أنهم قد نفذوا مخططهم وتخلصوا من يوسف وفرقوا بينه وبينه لكنه أحس بارتياح فمن الملابسات فهم أن يوسف حىّ، وأنهم لم يقتلوه ولم يجد إلا أن يركن إلى الله يستمد منه المعونة والصبر قال تعالى: ﴿وجاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١)

يقول صاحب الظلال: لقد ألهاهم الحقد الغائر عن سبك الكذبة، فلو كانوا أهدأ أعصابا ما فعلوها منذ المرة الأولى التى يأذن لهم فيها يعقوب باصطحاب يوسف معهم!ولكنهم كانوا معجلين لا يصبرون، يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرى كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلا على التسرع، وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس، وهم ينفونها، ويكادون يتهكمون بها فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا فى الصباح ليتركوا يوسف للذئب الذى حذرهم أبوهم منه أمس! وبمثل هذا التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب لطخوه به فى غير إتقان، فكان ظاهر الكذب حتى ليوصف بأنه كذب(٢)

لماذا خص الذئب بالذكر فى قصة يوسف(عليه السلام) دون غيره من الحيوانات المفترسة ؟

أجاب العلامة الآلوسى عن هذا التساؤل فقال: وخصه بالذكر لأن الأرض على ما قيل: كانت مذئبة ــ أى كثيرة الذئاب ــ وقيل: لأنه سبع ضعيف حقير

---

١ - سورة يوسف (عليه السلام) الآية (١٨) ويراجع ما سبق فى البداية والنهاية لابن كثير :١/ ١٨٥ : ١٨٧ ط دار الحديث ط الرابعة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م .

٢ - فى ظلال القرآن : ١٢/ ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ .

فنبه(عليه السلام) بخوفه(عليه السلام)عليه منه على خوفه عليه مما هو أعظم منه افتراسا من باب أولى، ونحقارة الذئب خصه الربيع ابن ضبع الفزارى فى كونه يخشاه لما بلغ من السن ما بلغ فى قوله:

والذئب أخشاه إن مررت به ∴ وحدى وأخشى الرياح والمطرا

وقيل: لأنه (عليه السلام) رأى فى المنام أن ذئبا قد شد عليه فكان يحذره، ولعل هذا الحذر لأن الأنبياء ــ عليهم السلام ــ لمناسبتهم التامة بعالم الملكوت تكون واقعاتهم بعينها واقعة[١] ويقول العلامة الماوردى: إن يعقوب(عليه السلام) ورّى بالذئب عن واحد منهم، فكأن يعقوب قال هذا تخوفا على يوسف من إخوته فكنى عن ذلك بالذئب[٢].

والذئب من الحيوانات المفترسة التى لا يؤكل لحمها فهو محرم بنص حديث رسول الله(ﷺ) فقد أخرج الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عنْ أَبِى ثَعْلَبَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُول اللَّه (ﷺ) نَهى عنْ أَكْلِ كُلِّ ذِى نَابٍ مِن السِّبَاعِ [٣] واتفق العلماء على أن المراد بما له ناب أى ما يتقوى به ويصول على غيره ويصطاد ويعدو بطبعه غالبا كالأسد والذئب والفهد والصقر[٤]

وفى النهاية: نشكر الذئب لأنه كشف لنا حقيقة وطبيعة الإسرائليين الأوائل " أبناء يعقوب " (عليه السلام) وهو " إسرائيل "[٥] ونحن نشاهد الآن ما يقوم به أحفادهم من جرائم بشعة بشتى الأشكال مع الفلسطينيين العزل المجردين من السلاح،الذين لا حول لهم ولا قوة ولكن نصر الله قريب: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٦] فأدعو الله أن ينتقم من الظالمين الباغين، وأن يجعل كيدهم فى نحرهم

---

١ - ينظر روح المعانى : ١٢/ ١٩٥ .

٢ - ينظر : النكت والعيون للماوردى :٣/ ١٣ والمحرر الوجيز : ٢٥٨/٩ وزاد المسير لابن الجوزى:٤/ ١٨٨ .

٣ - الحديث سبق تخريجه عند التمهيد لمطلب ورود السباع فى القرآن الكريم .

٤ - ينظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى : ٣٤٤/١٥ .

٥ - مما يدل على أن يعقوب هو إسرائيل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [بعض الآية (٩٣) من سورة آل عمران] .

٦ - سورة المجادلة الآية (٢١).

وأن يجعل الدائرة عليهم، كما أسأله النصر والتأييد للمجاهدين فى كل مكان وأن يصوب رميهم وأن يجعل النصر والتأييد حليفهم إنه تعالى سميع قريب مجيب الدعاء .

رابعا : القسورة :

قال ابن منظور: القسور: الأسد والجمع قسورة وفى التنزيل: ﴿ فَرَّتْ من قَسْورة ﴾[١] والقسور والقسورة اسمان للأسد والأسد اشد الحيوانات وأقواها وهو عفيف لا يأكل الدبة ولا يأكل بقايا الشئ وهو سريع جدا، وعضلاته فى منتهى القوة، وإذا كان جائعا ورأى قطيعا من الحمير الوحشية هاجمها وعينه على واحدة منها ما بزال يطاردها حتى ينال منها، والحيوانات تهابه[٢]

والله تعالى صور المشركين وهم فارون من القرآن ومن دعوة الحق بالحمير الوحشية النافرة والأسد وراءها، والحمير تجر فرارا بحياتها، أما المشركون فهم يهربون من الجنة إلى النار والله تعالى ينذر المشركين ويتساءل: ﴿ فَما لَهُمْ عنِ التَّذْكرة مُعْرضين * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفرةٌ * فَرَّتْ من قَسْورة ﴾ يقول العلامة الرازى عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَرَّتْ من قَسْورة ﴾[٣]: إنها الأسد يقال: ليوث قساور وهى فعولة من القسر وهو القهر والغلبة سمى بذلك لأنه يقهر السباع قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت كذلك هؤلاء المشركين إذا رأوا محمدا (ﷺ) هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد ثم قال ابن عباس: القسورة هى الأسد بلسان الحبشة[٤]

---

١ - سورة المدثر الآية (٥١) وينظر لسان العرب مادة (ق٠س٠ ر) ٥/ ٩٢ .

٢ - ينظر : قصص الحيوان فى القرآن : ٨٦ بتصرف .

٣ - الآيتان (٤٩ : ٥١) من سورة المدثر .

٤ - مفاتيح الغيب :١٦ / ١١ وينظر : البحر المحيط : ٨/ ٣٨٠ .

ويقول الحافظ ابن كثير: كأنهم فى نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد قاله أبو هريرة وابن عباس وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وبه قال البيضاوى والآلوسى[١]

وقد صور صاحب الظلال موقف هؤلاء المشركين المعرضين عن دعوة الحق حين ينفرون من الهدى والخير ووسائل النجاة المعروضة عليهم، ويرسم لهم صورة مضحكة تثير السخرية والعجب من أمرهم الغريب فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَما لَهُمْ عنِ التَّذْكِرةِ مُعْرِضِين * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرةٍ﴾: "ومشهد حمر الوحش وهى مستنفرة تفر فى كل اتجاه، حين تسمع زئير الأسد وتخشاه.. مشهد يعرفه العرب.وهو مشهد عنيف الحركة.مضحك أشد الضحك حين يشبه به الأدميون ! حين يخافون ! فكيف إذا كانوا إنما ينفرون هذا النفار الذى يتحولون به من آدميين إلى حمر لا لأنهم خائفون مهددون بل لأن مذكرا يذكرهم بربهم وبمصيرهم، ويمهد لهم الفرصة لينقوا ذلك الموقف الزرى المهين، وذلك المصير العصيب الأليم ؟! إنها الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد وتسجله فى صلب الكون، تتملاه النفوس، فتخجل وتستنكف أن تكون فيه، ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل، ويطامنون من الإعراض والنفار، مخافة هذا التصوير الحى العنيف! تلك هيئتهم الخارجية﴿ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرةٌ * فَرَّتْ من قَسْوَرةٍ﴾[٢]

وللأسد أسماء متعددة منها: الليث الرئبال والضيغم والهزبر وأسامة وغير ذلك، أما القسورة فهى كلمة حبشية كما ذكر الرازى لكن العرب تعارفوا عليها، وإذا كشر الأسد عن أنيابه فلن يتراجع الا إذا نال من خصمه أو مات ولهذا يقول المتنبى :

---

١ - ينظر : تفسير ابن كثير : ٨/ ٢٤٦ وتفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب: ٣٣٧/٩ ط دار الكتب العلمية ط أولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

٢ - فى ظلال القرآن : ٢٩/ ٣٧٦٢ .

إذا رأيت نيوب الليث بارزة ∴ فلا تظنن أن الليث يبتسم[١]

ومن حكمة الله أن بعض الحيوانات الضعيفة تخيف الأسد يقول صاحب عجائب المخلوقات عند حديثه عن الأسد: ويهرب من الديك البيض وجميع الحيوانات تهرب من زئيره إلا الحمار فإنه يقف عن السعى ولا يزأر، والنمل يفعل بالأسد ما يفعله البق بالفيل، فإنه فى عذاب من النمل[٢] ولم يرد لفظ الأسد فى القرآن الكريم صراحة وإنما جاء بلفظ القسورة فقط ٠

والأسد من الحيوانات ذات الأنياب المفترسة لذا يحرم أكل لحمه، وقد نهى النبى(ﷺ) عن أكل كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير وقد سبق بيان ذلك عند الحديث عن الذئب منذ قليل ٠

*****

١ - ديوان المتنبى ص٢٣٤ تحقيق إسماعيل اليوسف منشورات دار الكتاب العربى بسوريا

٢ - عجائب المخلوقات : ٢٩٦ ٠

المطلب الثالث

حيوانات أخرى فى القرآن الكريم سوى ما ذكر

تمهيد:

بالنظر فى كتاب الله تعالى وجدت أنه يحتوى على حيوانات أخرى غير ما ذكر من الأنعام والسباع، منها ما ذكر فى القرآن لغرض التحذير منه وبيان نجاسته وتحريم أكل لحمه وجميع أجزائه كالخنزير، ومنها ما خلقه الله تعالى للركوب والحمل عليها وكونها زينة كالخيل والبغال والحمير، ومنها ما خلقه الله تعالى لأكل لحمه حيا وميتا وفيه العظة والعبرة حيث كان بمثابة القبر المتنقل لسيدنا يونس (عليه السلام) وهو الحوت، ومنها الدابة التى تخرج من الأرض تكلم الناس آخر الزمان قائلة لهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وفى ذلك إهانة لهؤلاء المكذبين الذين لم يستمعوا لدعوة أنبيائهم، فقدر الله أن يرسل إليهم دابة يستمعون إليها، ومنه ا الحيوان العظيم الجثة الذى حفظ الله به بيته الحرام وجعله آية وعبرة لمن يعتبر.

وقد تضمن هذا المطلب العديد من الحيوانات التى ذكرها الله – تعالى– فى كتابه الكريم عدا ما ذكرناه فى المطلبين السابقين وهى على وجه الإجمال حسب ترتيب آيات المصحف الشريف: الخنزير والخيل والبغل والحمار والحوت والدابة التى تخرج من الأرض تكلم الناس آخر الزمان والفيل وإليك التفصيل بعد الإجمال فأقول وبالله التوفيق :

أولا : الخنزير :

هو حيوان خسيس الطبع دنئ الصفات يعيش فى الأوساخ والقاذورات ويمتلئ بالشحم وفيه ديدان قاتلة إذا نالت الإنسان أهلكته، لذا حرم الله لحمه لوجود هذه الديدان الخطيرة بداخله: وغير ذلك من الأشياء الضارة التى سوف يأتى الحديث عنها بالتفصيل فى بيان الحكمة من تحريم الخنزير. والله تعالى ما حرم على الانسان إلا كل ما يضر بنفسه أو عقله أو أخلاقه أو مجتمعه أو عقيدته .

وقد ورد لفظ الخنزير بالإفراد فى القرآن الكريم أربعة مرات بينما ورد لفظ الخنازير بالجمع فى آية واحدة ويمكن إلقاء الضوء على هذه الآيات فيما يلى :

الآية الأولى: جاءت بعد أن أمر الله تعالى المؤمنين بالأكل من الطيبات من الرزق، ثم شكره تعالى على هذه النعم حيث قال : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [١] بعد ذلك جاء البيان من الله تعالى لما حرمه علينا من المطعومات كأمثال الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح وذكر عليه اسم غير الله تعالى إلا المضطر فقد أباح الله له الأكل مما سبق بقدر الضرورة وختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للإيذان بأن الحرمة باقية إلا أنه تعالى أسقط الإثم على المضطر وغفر له لاضطراره هذا ما قصه الله علينا فى قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٢]

الآية الثانية: جاءت بعد أن بين الله سبحانه أنه أحل بهيمة الأنعام وذلك فى مفتتح سورة المائدة حيث يقول سبحانه: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾[٣] بعد ذلك شرع الحق تبارك وتعالى فى بيان المحرمات منها التى استثناها بقوله: ﴿ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ وهى عشرة أنواع منها: لحم الخنزير قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ... ﴾ الآية [٤]

الآية الثالثة: جاءت بعد أن بين الله تعالى خطأ المشركين فيما يفترونه على الله تعالى فى شأن التحريم والتحليل لبعض الأرزاق من الثمار والأنعام ووبخهم على ذلك[٥] جاء بعد ذلك قوله: ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ

---

١ - سورة البقرة الآية (١٧٢) .

٢ - سورة البقرة الآية (١٧٣).

٣ - بعض الآية الأولى من سورة المائدة .

٤ - سورة المائدة الآية (٣).

٥ - وذلك فى الآيات (١٤١ : ١٤٤) من سورة الأنعام .

فمن اضطُرّ غَيْر باغٍ ولا عادٍ فَإنّ ربّك غَفورٌ رَّحيمٌ﴾ [١] فالآية تبين أن الوحى هو الطريق الصحيح فيما حرمه الله وأحله، وأن يقول النبى (ﷺ) لهؤلاء المفترين لقد تتبعت جميع ما أوحاه الله إلى بحثا عن المحرمات فلم أجد فيها طعاما محرما على أى آكل من الذكور أو الإناث إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن حملته الضرورة على تناول شئ من المحرمات السابقة لحفظ الحياة فإنه رخص له ذلك بشرط ألا يتجاوز مقدار الضرورة التى تحفظ حياته والله تعالى عظيم المغفرة والرحمة.

الآية الرابعة: جاءت بعد أن أمر الله تعالى الناس بالأكل مما أحل لهم من رزقه وذلك فى قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رزقَكُمُ اللّهُ حلالاً طيّبًا واشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٢] ناسب أن بين لهم بعد ذلك ما حرمه عليهم ليعلموا أن ما عداه حلال طيب وأن التحليل والتحريم بأمره سبحانه لا بأهوائهم وذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حرَّمَ عليْكُمُ الْمَيْتَةَ والدَّمَ ولَحْمَ الْخَنزِيرِ ومآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ولا عادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣]

أما كلمة الخنازير بالجمع فقد جاءت فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مَّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عند اللّهِ من لَّعنَهُ اللّهُ وغَضِبَ عليْهِ وجعل مِنْهُمُ الْقِردَةَ والْخَنَازِيرَ وعبد الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وأَضَلُّ عَن سواء السَّبِيلِ ﴾ [٤] ومعناها: قل أيها الرسول لأهل الكتاب ألا أخبركم بأعظم شر فى الجزاء عند الله ؟! إنه عملكم أنتم يا من أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بسبب كفرهم وعصيانهم، وطمس على قلوبهم فكانوا كالقردة والخنازير وعبدوا الشيطان واتبعوا الضلال أولئك فى أحط منزلة من الشر لأنهم أبعد الناس عن طريق الحق.

---

١ - سورة الأنعام الآية (١٤٥).

٢ - سورة النحل الآية (١١٤).

٣ - سورة النحل الآية (١١٥).

٤ - سورة المائدة الآية (٦٠).

حكم الخنزير من حيث الحل والحرمة :

إن الخنزير بجميع أجزائه حرام يدل على ذلك ما أخرجه الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن رسول الله(ﷺ) قال: « إِنَّ اللَّه ورسُولَهُ حرَّم بيْع الْخَمْرِ والْميْتَة والْخنْزيرِ والأصْنَامِ ». فَقيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَرأيْتَ شُحُوم الْميْتَة فَإِنَّهَا يُطْلَى بِها السُّفُنُ، ويُدْهَنُ بِها الْجُلُودُ، ويَستَصْبِحُ بِها النَّاسُ ؟ فَقَالَ: « لاَ، هُوَ حَرَامٌ»[١] فالخنزير بجميع أجزائه حرام جلده ولحمه وشحمه، وقد اقتصر القرآن الكريم على ذكر اللحم فى جانب التحريم بالنسبة للخنزير لأنه حيوان يقصد إلى لحمه وقد حكى الإمام الشوكانى فى تفسيره إجماع الأمة على أن جملة الخنزير محرمة[٢]

وهذا الحيوان الخبيث كان قبل أمة اليهود من قديم الزمان وليس هو من نسلهم[٣] يدل على ذلك ما أخرجه أبو داود الطيالسى وأحمد بن حنبل فى مسنديهما عن ابن مسعود قال: سألنا رسول الله (ﷺ) عن القردة والخنازير أهى من نسل اليهود ؟ فقال: لا إن الله لم يلعن قوما فيمسخهم فكان لهم نسل،ولكن هذا خلق كان،فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم"[٤]وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود قَالَ:سئل رسول الله(ﷺ)عن الْقِردَةُ والْخَنَازِيرُ أهِىَ مِمَّا مُسِخَ الله تعالى؟ فَقَال:«إِنَّ اللَّهَ عزَّ وَجلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْماً-أو قال:لم يمسخ قوما-فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلاً ولا عقبا وإِنَّ الْقِردَةَ والْخَنَازِيرَ كَانُت قَبْلَ ذَلِك»[٥].

---

١ - أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب: البيوع ، باب : بيع الميتة والأصنام: ٥/ ٤٩٥ حديث رقم ٢٢٣٦ ومسلم فى صحيحه فى كتاب: المساقاة ، باب : تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام : ٣/ ٧١ حديث رقم ١٢٠٧ .

٢ - ينظر : فتح القدير للشوكانى : ١/ ١٦٩ .

٣ - إنما ذكرنا ذلك لئلا يظن أحد أن بدايته كانت وقت أن مسخ الله تعالى بعض اليهود على هيئة هذا الحيوان الخسيس .

٤ - أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده ص٣٩ حديث ٣٠٧ وأحمد فى مسنده: ١/ ٣٩٥ والحديث ضعف إسناده الشيخ احمد شاكر فى تعليقه على المسند ٤/ ١٧ حديث رقم ٣٧٤٧ .

٥ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب: القدر، باب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تنقص عما سبق به القدر[ينظر: شرح صحيح مسلم للنووى:١٨٣/١٦ حديث ٢٦٦٣]

وهؤلاء الأشخاص الذين مسخهم الله على هيئة قردة وخنازير قدر الله تعالى ألا يتناسلوا وألا يلدوا حتى انقرضوا، ومن هنا خاف اليهود طوال التاريخ من العمل يوم السبت حتى لا يمسخهم الله تعالى قردة وخنازير .

ما الحكمة من تحريم الخنزير ؟

لم يحرم الله تعالى على عباده شيئا إلا وفيه الضرر الجسيم، كما أنه تعالى لم يحلل شيئا إلا وفيه الخير الكثير وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ويحرِّمُ عليهمُ الْخَبَائِثَ﴾[١] ومن الأشياء التى حرمها الله تعالى على عباده أكل لحم الخنزير، وعلة التحريم أن لحمه يشتمل على جراثيم مضرة لا تقتلها حرارة النار عند الطبخ فإذا أوصلت إلى دم آكلها عاشت فى الدم فأحدثت أضرارا عظيمة منها مرض الديدان التى فى المعدة[٢] وإنما خص لحم الخنزير بالذكر مع أن جميع أجزائه محرمة لأنه هو المقصود بالأكل يقول الحافظ ابن كثير: ولحم الخنزير يعنى إنسيه ووحشيه واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم كما هو المفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد[٣].

وحرمه الله تعالى لأن غذائه من القاذورات والنجاسات فيقذر لذلك، ولأن فيه ضررا فقد اكتشف الأطباء أن لحم الخنزير يحمل جراثيم شديدة الفتك، ويظهر أيضا أن المتغذى من لحم الخنزير قد يكتسب من طباع ما يؤكله، والخنزير فيه الكثير من الطباع الخبيثة[٤] والله تعالى هو العليم بأسرار الأمور ومضار ما يأمرنا باجتنابه ومنافع ما يأمرنا بفعله وما علينا بمقتضى الإيمان إلا الاستجابة لأمر الله(ﷻ) ونحن حينما نلتمس حكمة الله فى تحريم شئ أو تحليله فإنما يكون ذلك منا على سبيل الاجتهاد لا على سبيل القطع.

---

١ - بعض الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

٢ - التحرير والتنوير : ٦/ ٩٠ .

٣ - ينظر : تفسير ابن كثير : ٣/ ٢٠ .

٤ - تفسير آيات الأحكام للشيخ / محمد على السايس : ١/ ٤٧ .

وتحدث العلامة القاسمى عن مضار لحم الخنزير فقال:وأما خبث لحم الخنزير فلأذاه للنفس لأن من حكمة الله فى خلقه أن من اغتذى جسمه بجسمانية شى اغتذت نفسانيته بنفسانية ذلك الشئ، وقد كشف لأطباء هذا العصر من مضار لحم الخنزير ــ المبنية على التجارب الحسية ــ غير ما قالوه القدماء فمن مضاره أنه يورث الدودة الوحيدة المتسبب من وجودها فى الأمعاء أعراض كثيرة: كالمغص والإسهال والقئ وفقد شهوة الطعام أو النهم الشديد وآلام الرأس والإغماء والدوار واضطراب الفكر وعروض نوبات صرعية وتشنجات عصبية وإصابة مرض دودة الشعر الحلزونية الذى يفوق الحمى ويؤدى بحياة المصاب ... إلى غير ذلك من التعب وعسر الهضم ومضار سواها، فالإسلام لم يأت لإصلاح الروح فقط بل لإصلاح الروح والجسم معا..! فلم يترك ضارا لأحدهما إلا ونبه عليه تصريحا أو تلويحا[١]

وفى النهاية أقول: يجب علينا التسليم الكامل لأحكام الشريعة الإسلامية السمحاء لأنها من عند الله تعالى وصنعه الذى أتقن كل شئ قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[٢] حتى لو لم نعلم شيئا عن الخنزير من حيث أضراره يكفى وصف الله له بأنه (رجس)[٣] وما توصل إليه العلم الحديث فيما يتعلق بالخنزير أو غيره مما نهى عنه الشرع لا يزيد الإسلام إلا ثقة فى أحكامه وتشريعاته، فكيف لا وهو تشريع العليم الحكيم الرحيم بالعباد: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٤]وقد أطلعت على الكثير

---

١ - محاسن التأويل للقاسمى : ٢/ ٣٢ بتصرف واختصار .

٢- سورة الملك الآية (١٤) .

٣ - وذلك فى قوله تعالى ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [بعض الاية ١٤٥ من سورة الأنعام].

٤ - بعض الآية (٢٢٠) من سورة البقرة .

من المطبوعات حول أضرار الخنزير ونجاسته والحكمة من تحريمه ولكن مخافة التطويل اكتفى بالإحالة على بعض مراجعها[١] والله تعالى أعلم .

ثانيا : الخيل :

الخيل أحسن الحيوانات شكلا بعد الإنسان، وأرشد الدواب عدوا وذكاء، وله خصال حميدة وأخلاق مرضية، وله صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء وحسن طلعته لراكبه كيف شاء صرفه وانقاد له، ومن الخيل ما لا يبول ولا يروث ما دام الراكب عليها، وسميت الخيل حيلا لأختيالها فى المشية[٢]

وقد ورد لفظ الخيل فى القرآن الكريم صراحة خمس مرات: **أولها:** فى قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ...﴾ [٣] فالآية جاءت فى معرض الحديث عن أحب شهوات الأرض إلى النفس الإنسانية، وذكر منها الحق تبارك وتعالى الخيل المسومة أى الراعية فى المروج والمسارح أو المعلمة ذات الغرة والتحجيل .

ثانيها: فى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾[٤] وقد جاءت الآية فى سياق نبذ عهد من تخشى خيانته فقد سبقها قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[٥] فهؤلاء كانوا بنى

---

١ - يرجع ذلك فى: الظلال:١٥٦/٢ والمنتخب فى تفسير القرآن الكريم : ص ١٧٢ :١٧٤ فيه كلام طيب للغاية للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط ٢٠ لسنة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م ومعالم القرآن فى عوالم الأكوان للشيخ أحمد محى الدين العجوز: ٢٩٥ ط دار الندوة الجديدة بيروت ،لبنان ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م . ومعلومات علمية عن الخنزير - د/ عمر عثمان على والى بمجلة الأزهر جـ١١ ص ١١٥٣ : ١١٥٥ شهر ذو القعدة١٤١٠هـ يونيه ١٩٩٠ م والنباتات والحيوانات كغذاء ودواء أ . د / جمال الدين حسين سهران ٩٢/٢ ٩٣ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٢ - عجائب المخلوقات : ٢٨١ .

٣ - بعض الآية (١٤) من سورة آل عمران .

٤ - بعض الآية (٦٠) من سورة الأنفال .

٥ - سورة الأنفال الآية (٥٨).

قريظة[١] والمراد برباط الخيل: أى ربطها للغزو والجهاد فى سبيل الله، وخص سبحانه وتعالى رباط الخيل بالذكر من بين ما يتقوى به لمزيد فضلها وغنائها فى الحرب، ولأن الخيل كانت الأداة الرئيسة فى القتال فى العهد النبوى.

ثالثها: فى قوله تعالى: ﴿والْخَيْل والْبِغَال والْحمير لِتَرْكَبُوها وزِينَةً..﴾[٢] فالآية جاءت فى معرض المنة على الإنسان وتذكيره بنعم الله عليه وقد ذكرها الله تعالى على سبيل التخصيص بعد أن قدم ذكر الأنعام ليشير إلى فضل الخيل ومنزلتها.

رابعها: فى قوله تعالى: ﴿وما أَفَاء اللَّهُ علَى رسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجفْتُمْ علَيْهِ مِنْ خَيْلٍ ولَا رِكَابٍ﴾ [٣] جاءت الآية بصدد غزوة بنى النضير الذين حوصروا فاستسلموا بدون قتال فجعل الله فيئهم خالصا لرسول الله(ﷺ) يضعه حيث شاء، أخرج الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عنْ عُمَر بن الخطاب (ﷺ) قَال: كَانَتْ أَمْوالُ بنى النَّضيرِ ممّا أَفَاء اللّهُ علَى رسُولِهِ (ﷺ)ممّا لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُون علَيْهِ بِخَيْلٍ ولاَ رِكَابٍ ، فَكَانَتْ لِرسُولِ اللّهِ (ﷺ) خَاصّةً ..." [٤]

خامسها: فى قوله تعالى: ﴿ واسْتَفْزِزْ من اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وأَجْلِبْ علَيْهِم بِخَيْلِك ورجِلِك..﴾[٥]فالآية تشير إلى توعد الشيطان لآدم وذريته فقد قال كما قص لنا القرآن الكريم:﴿لأَحْتَنِكَنّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاّ قَلِيلاً﴾[٦] أى لاستولين عليهم إلا قليلا منهم

---

١ - ينظر : أسباب النزول للسيوطى بهامش تفسير الجلالين : ١٦٢ .

٢ - بعض الآية (٨) من سورة النحل .

٣ - بعض الآية (٦) من سورة الحشر .

٤ - خرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب: الجهاد ، باب : المجن ومن يترس بترس صاحبه [ينظر : فتح البارى : ٩/ ٤٥ حديث رقم ٢٩٠٤] والترسه جمع: ترس، والمجن: بكسر الميم وفتح الجيم وتسكين النون أى الدركة قال ابن المنير : وجه هذه التراجم دفع من يتخيل أن إتخاذ هذه الآلات ينافى التوكل والحق : أن الحذر لا يرد القدر ولكن يضيق مسالك الوسوسة لما طبع عليه البشر [ينظر : المرجع السابق نفس الجزء والصفحة]

٥ - بعض الآية (٦٤) من سورة الإسراء .

٦ - بعض الآية (٦٢) من سورة الإسراء .

وهم الذين عصمتهم منى فقال له الله تعالى: ﴿اذْهبْ فَمن تَبِعك مِنْهُمْ فَإِنّ جهنّم جزآؤكُمْ جزاء مّوْفُورًا﴾ [١] واستفزز أى استخف واستذل منهم من تستطيع، وأجلب عليهم بخيلك أى بفرسانك الراكبين على الخيل ورجلك أى وبجندك المشاة، والمراد تمثيل تسلطه عليهم فى الإغواء والإضلال بقائد جند يفعل ذلك بعدوه للتمكن منه وإهلاكه[٢]

وكما ورد لفظ الخيل صريحا كما سبق، ورد كذلك عن طريق الإشارة فى قوله تعالى: ﴿ والْعادِيات ضبْحًا * فَالْمُورِياتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيراتِ صُبْحًا* فَأَثَرْن بِهِ نَقْعًا* فوسطْن بِهِ جمْعًا﴾[٣] ومعنى الآيات: يقسم سبحانه وتعالى بالخيل إذا أجريت فى سبيله فعدت وضبحت، وهو الصوت الذى يسمع من الفرس حين تعدو ﴿فَالْمُورِياتِ قَدْحًا﴾ يعنى اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار ﴿ فَالْمُغِيراتِ صُبْحًا ﴾ يعنى الإغارة وقت الصباح كان رسول الله(ﷺ) يغير صباحا ويتسمع أذانا فإن سمع وإلا أغار[٤]،وقوله ﴿فَأَثَرْن بِهِ نَقْعًا﴾ يعنى غبارا فى مكان معترك الخيول ﴿ فوسطْن بِهِ جمْعًا ﴾ أى توسطن ذلك المكان كلهن جمع[٥].

وقد تحدثت السنة عن مكانة الخيل وفضلها فى كثير من الأحاديث من ذلك قوله(ﷺ):« الْخَيْلُ معْقُودٌ فى نَواصِيها الْخَيْرُ إِلَى يوْمِ الْقِيامةِ الأَجْرُ والْمغْنَمُ»[٦] وقوله(ﷺ):"إنه ليس من فرس عربى إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو

---

١ بعض الآية (٦٣) من سورة الإسراء .

٢ - ينظر : صفوة البيان لمعانى القرآن : ١/ ٤٦٠ .

٣ - سورة العاديات الآيات (١ : ٥)

٤ - الحديث أخرجه أحمد فى مسنده : ٣/ ١٣٢ ، ٢٥٣ وإسناده صحيح ينظر المسند بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ١٠/ ٤٢٩ حديث رقم ١٢٢٩١ .

٥ - تفسير ابن كثير : ٨ / ٤٣٦ .

٦ - أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب: الجهاد والسير، باب : الجهاد: ٦/ ٦٦ حديث رقم ٢٨٥٢ ومسلم فى صحيحه فى كتاب: الإمارة ، باب : الخيل فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ٣ /٩١ - ٩٩ .

بدعوتين: يقول: اللهم إنك خولتنى من خولتنى من بنى آدم، فاجعلنى من أحب أهله وماله إليه أو أحب أهله وماله إليه "[١]

وقد نهى النبى(ﷺ) عن التعرض للخيل بالإيذاء أو التعدى عليها بحيث يعوق منفعتها أو يقلل الاستفادة منها فقال:" لا تقصوا نواصي الخيل ولا معارفها ولا أذنابها فإن أذنابها مذابها ومعارفها دفاؤها ونواصيها معقود فيها الخير[٢] يقول شارح الحديث: أى لا تقطعوا نواصى الخيل أى شعر مقدم رأسها ولا معارفها. هى الموضع الذى ينبت عليه عرف الفرس من قبته، ومذابها هى ما يدب به الذباب، ومعارفها دفاؤها أى كساؤها الذى تدفأ به، ونواصيها معقود فيها الخير أى ملازم بها كأنه معقود فيها[٣]

ومما يدل على مكانة الخيل أنه(ﷺ) شبه أمته يوم القيامة بالخيول المحجلة أى التي فى قوائمها بياض وذلك من أثار كثرة وضوئهم فقال فيما أخرجه الإمام البخارى: « إِنَّ أُمَّتِى يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ »[٤] نستنبط مما سبق حث الرسول(ﷺ) على اقتناء الخيل وتفضيلها على سائر الدواب لأنه(ﷺ) لم يرد عنه فى غيرها مثل ما ورد فيها. أخرج الإمام النسائى فى سننه عن أنس بن مالك(ﷺ) : " لم يكن شئ

---

١ - أخرجه أحمد فى مسنده : ٥/ ١٧٠ والحاكم فى المستدرك : ٢/ ١٤٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى . وأخرجه النسائى فى كتاب الخيل باب : دعوة الخيل : ٦/٥٣٢ حديث رقم ٣٥٨١ وإسناده صحيح ، وذكره الألبانى فى صحيح النسائى: ٢/ ٧٥٩ حديث رقم ٣٣٤٦ .

٢ - أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد باب فى كراهية جز نواصى الخيل وأذنابها:٣/٢٢ حديث رقم ٢٥٤٢ وإسناده ضعيف ينظر جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير: ٥/ ٥٠ حديث رقم ٣٠٥٢ تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ط دار الفكر ١٣٩٠هـ.

٣ -عون المعبود بشرح سنن أبى داود لمحمد شمس الحق العظيم أبادى: ٧/ ٢١٧

٤ - أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الوضوء باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء [ينظر : فتح البارى :١/٣٩٥ حديث رقم ٢١٦].

أحب إلي رسول الله (ﷺ) من النساء إلا الخيل" وفي رواية :"من الخيل إلا النساء" [١]

وسميت الخيل خيلا لأنها موسومة بالعز فمن ركبه اعتز بنحلة الله له ويختال به على أعداء الله تعالى، وسمي الفرس فرسا لأنه يفترس مسافات الجو افتراس الأسد وثبانا ويقطعها كالالتهام بيديه على شئ خبطا وتناولا، وسمي عربيا لأنه جئ به من بعد آدم لإسماعيل جزاء عن رفع قواعد البيت وإسماعيل عربي فصار له نحلة من الله تعالى فسمي عربيا [٢].

ثالثا : البغل :

البغل حيوان مركب من الفرس والحمار، ولذلك صارت له صلابة الحمار وعظم قوة الخيل، وصوته مولد من صهيل الخيل ونهيق الحمار، والبغل عقيم لا يولد له، ولكنه يتولد من بين الفرس والحمار فإذا كان الذكر حمارا كان البغل الناتج شديد الشبه بالفرس، وإذا كان الذكر فرسا كان البغل الناتج شديد الشبه بالحمار[٣].

وقد ورد لفظ البغال مرة واحدة في القرآن الكريم في مقام المنة على العباد فقال سبحانه: ﴿ والْخيل والْبغال والْحمير لتَركَبوها وزينَةً ويخْلُقُ ما لا تَعْلَمُون [٤] فالله تعالى ذكر البغال وامتن علينا بها كامتنانه بالخيل والحمير، وأفرد ذكرها بالاسم الخاص الموضوع لها ونبه على ما فيها من منفعة، والنبي(ﷺ) استعمل البغل واقتناه وركبه حضرا وسفرا يقول الحافظ ابن كثير: دل النص على جواز

---

١ - أخرجه النسائي في سننه كتاب الخيل باب :حب الخيل :٦/٥٢١ حديث رقم ٣٥٦٦ وبضا في كتاب : عشرة النساء باب: حب النساء ٧/ ٧٤ حديث رقم ١٩٥١ وأبو الشيخ في أخلاق النبي (ﷺ) : ص ١٦٠ حدث رقم ٤٤٧ وإسناده حسن .

٢- تفسير القرطبي : ٤/ ٣٦ .

٣ - ينظر : عجائب المخلوقات :٢٠٢ وحياة الحيوان: ١/ ١٣٨ .

٤ - سورة النحل الآية (٨).

ركوب هذه الدواب ومنها البغال، وقد اهديت إلى رسول الله(ﷺ) بغلة فكان يركبها[١]

ذكر صاحب حياة الحيوان أن العباس بن الفرج قال: نظر إلى عمرو بن العاص(ﷺ) وهو على بغلة قد شمط وجهها هرما، فقيل له: أتركب هذه وأنت والى مصر ؟ فقال: إنه لا ملل عندى لدابتى ما حملت رحلى، ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى، ولا لصديقى ما حفظ سرى إن الملل من كواذب الأخلاق[٢] ونسب إلى الإمام على بن أبى طالب- كرم الله وجهه-أن البغال كانت تتناسل قديما وكانت من أسرع الدواب فى

نقل الحطب لتحرق إبراهيم فدعا عليها فقطع الله أرحامها ونسلها[٣].

وفى البغل صفات حسنة، وبعض مظاهر الجمال سرت إليه من الفرس وقد أهدى المقوقس للنبى(ﷺ) بغلة،وقد حارب النبى(ﷺ) يوم حنين وهو على بغلة، ولم يركب فرسا وقد دل ذلك على شجاعته[٤].

رابعا : الحمار:

الحمار هو الحيوان المعروف ويجمع على حمير وأحمر وحمر، والحمار: النهاق من ذوات الأربع، والأنثى حمارة ورجل حمار ذو حمار، والحمّارة أصحاب الحمير فى السفر[٥] وقد ورد لفظ الحمار بالإفراد والجمع فى القرآن الكريم خمس مرات ويمكن بيانها والوقوف عندها حسب ترتيب آيات المصحف الشريف فيما يلى:

---

١ - تفسير ابن كثير: ٥٦٧/٤ .

٢ - حياة الحيوان : ٢٢٦/١ .

٣ - رواه الحافظ ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق:٦ / ١٨٥ ط دار الكتب العلمية٠بيروت.

٤ - سلسلة القصص القرآنى : ١٧ / ١٠٠ .

٥ - ينظر: المفردات: مادة(ح٠م٠ر) ١٣١ واللسان: مادة (ح٠ م٠ ر) ٤/ ٢١٢.

أولها : فى سورة البقرة، والمقصد منها تصوير قدرة الله تعالى على إعادة الحياة بعد الفناء، وذلك حين مر عزير[١] بقرية فانية بالية فقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه، ثم قيل له: كم لبثت ؟ قال: يوما أو بعض يوم، فقيل له: بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك الذى لم تتغير رائحته ولم يتسنه، وانظر الى حمارك الذى فنى كيف تجتمع عظامه، وتتركب أجزاؤه ثم يكسوه الله باللحم والجلد ثم ينفخ فيه بقدرته فيقوم ويتحرك ويمشى أمامك فهل عرفت يا عزير قدرة الله على إعادة الحياة إلى الأموات، وأيقنت بذلك واطمأن إليه قلبك هذا ما قصه الله علينا فى قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢] وذكر الحافظ ابن كثير أن القرية التى مر عليها عزير هى بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها[٣]

ثانيها : فى سورة النحل، وذلك فى معرض التذكير بنعم الله الذى سخر للإنسان الحمير التى تحمل متاعه وينتقل بها من مكان إلى مكان، وهى تصبر على ذلك صبرا شديدا ولا تكل ولا تمتنع عن حمل أحماله مهما بعدت أسفاره يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [٤] وقد سبقها ما يشير إلى أنه تعالى خلق الأنعام كى نتخذ من أصوافها وأوبارها

---

١ - عزير : هو عزير بن جروة بن عديا بن أيوب بن درزنا بن عزى بن تقى بن اسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران، جاء فى بعض الأخبار أن قبره بدمشق. ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم بالتوراة منه، وعن عبد الله بن سلام : أن عزيرا هو العبد الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير : ٤٦٥ط المكتبة التوفيقية.

٢ - سورة البقرة الآية (٢٥٩).

٣ - تفسير ابن كثير : ١/٦٨٥ .

٤ - سورة النحل الآية (٨) .

وأشعارها ما نستدفئ به وجعل فيها الجمال والمتعة أثناء الذهاب والإياب، وجعل من منافعها حمل الأثقال من بلد إلى بلد آخر، فهو سبحانه رءوف واسع الرحمة حيث قال: ﴿والأنْعام خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ ومَنافِعُ ومِنْها تَأْكُلون*ولَكُمْ فِيها جَمالٌ حِين تُريحُون وحِين تَسْرحُون* وتَحْمِلُ أثْقالَكُمْ إلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُواْ بالغِيهِ إلاّ بِشِقِّ الأنفُسِ إنّ ربّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)

ثالثها: فى سورة لقمان، تشير إلى نكارة صوت الحمار، فينبغى أن يخفض الإنسان صوته وألا يرفعه فيشبه صوت الحمار وينكره الناس قال تعالى:﴿واغْضُضْ مِن صوْتِك إنّ أنكَرَ الْأصْوَاتِ لَصوْتُ الْحَمِيرِ﴾(٢) قال مجاهد عند تفسيره لهذه الآية: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير أى غاية من رفع صوته أن يشبه بالحمير فى علوه ورفعه،ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه فى هذا بالحمير يقتضى تحريمه وذمه غاية الذم(٣) وقد أمرنا الرسول (ﷺ) أن نتعوذ عند سماع صوت الحمير حيث رأت شيطانا وفى ذلك يقول(ﷺ):« إذَا سمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمارِ فَتَعَوّذُوا باللّه من الشّيْطَانِ ، فَإنّهُ رأى شَيْطَاناً »(٤)

يقول العلامة الزمخشرى: الحمار مثل فى الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه، ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون: الطويل الأذنين، كما يكنى عن الأشياء المستقذرة، وقد عد من مساوئ الآداب أن يجرى ذكر الحمار فى مجلس قوم من أولى المروءة، ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرحلة، فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة فى الذم والنهجين

---

١ - سورة النحل الآيات (٥ : ٧).

٢ - بعض الآية (١٩) من سورة لقمان .

٣ - تفسير ابن كثير : ٦/ ٣٥٧ .

٤ - أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب: بدء الخلق ، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال [ينظر : فتح البارى : ٩/ ٥٦١ حديث رقم ٣٣٠٣]

والإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراسة الله بمكان[١].

رابعها: في سورة الجمعة، تصور حالة اليهود الذين آتاهم الله التوراة ليعملوا بما فيها من تعاليم وآداب، ولكنهم أعرضوا عنها، وكذبوا بما جاء فيها من تبشير بالنبي(ﷺ)، وقد ذكرت التوراة أوصافه.. فكان شأنهم كشأن الحمار الذي يحمل الكتب فوق ظهره فلا يدري ما فيها ولا يمكنه الانتفاع بها، وهذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلّم ما فيه، لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء، وأمثالهم وقد صور الله تعالى ذلك كله في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢]

يقول صاحب الظلال: ومثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها..كل الذين حملوا أمانة العقيدة ثم لم يحملوها.والمسلمون الذين غبرت بهم أجيال كثيرة، والذين يعيشون في هذا الزمان،وهم يحملون أسماء المسلمين ولا يعملون عمل المسلمين، وبخاصة أولئك الذين يقرأون القرآن والكتب، وهم لا ينهضون بما فيه..أولئك كلهم كالحمار يحمل أسفارا، وهم كثيرون فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس إنما هي مسألة فقه وعمل بما في الكتب[٣]، والمقصود منه أنهم لما لم يعملوا بما في التوراة شبهوا بالحمار؛ لأنهم لو عملوا بمقتضاها لانتفعوا بها،ولم يوردوا تلك الشبهة،وذلك لأن فيها نعت الرسول(ﷺ) والبشارة بمقدمه والدخول في دينه.

---

١ الكشاف : ٣/ ٢٣٤ .

٢ سورة الجمعة الآية (٥).

٣ في ظلال القرآن : ٢٨ / ٣٥٦٧ .

تساؤل والرد عليه :

ما الحكمة فى تعيين الحمار من بين سائر الحيوانات ؟

أجاب العلامة الرازى عن هذا التساؤل وذكر فى ذلك وجوها:

منها: أنه تعالى خلق: ﴿ ..والْخيْل والبغَال والْحمير لتركَبوها وزينة﴾[١] والزينة فى الخيل أكثر وأظهر بالنسبة إلى الركوب، وحمل الشئ عليه، وفى البغال دون الخيل، وفى الحمار دون البغال، فالبغال كالمتوسط فى المعانى الثلاثة، وحينئذ يلزم أن يكون الحمار فى معنى الحمل أظهر وأغلب بالنسبة إلى الخيل والبغال وغيرهما من الحيوانات .

ومنها: أن هذا التمثيل لإظهار الجهل والبلادة، وذلك فى الحمار أظهر .

ومنها: أن فى الحمار من الذل والحقارة ما لا يكون فى الغير،والغرض من الكلام فى هذا المقام تعيير القوم بذلك وتحقيرهم، فيكون تعيين الحمار أليق وأولى .

ومنها: أن حمل الأسفار على الحمار أتم وأعم وأسهل وأسلم، لكونه ذلولا ، سلس القياد لين الإنقياد، يتصرف فيه الصبى الغبى من غير كلفة ومشقة، وهذا من جملة ما يوجب حسن الذكر بالنسبة إلى غيره.

ومنها: أن رعاية الألفاظ والمناسبة بينها من اللوازم فى الكلام، وبين لفظى الأسفار والحمار لفظية لا توجد فى الغير من الحيوانات فيكون ذكره أولى[٢].

خامسها: فى سورة المدثر، فشبه المعرضين عن دعوة الحق النافرين عن سماعها بالحمر النافرة وقد رأت أسدا يقصدها وذلك فى قوله تعالى: ﴿فَما لَهُمْ عنِ التَّذْكرة مُعْرضين * كَأَنَّهُم حُمُرٌ مُّستَنفرةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْورة﴾[٣] فالآية تضرب المثل بالمشركين الذين صدوا عن سبيل الله وأعرضوا عن القرآن الكريم، فنجد الحمير فرت من الأسد إبقاء على حياتها، فهى تنجو بنفسها ولكنها تعبد الله وتسبح بحمده، بينما المشركون يهربون من القرآن وفيه النجاة لهم.

---

١ - بعض الآية (٨) من سورة النحل .

٢ - مفاتيح الغيب : ١٥/ ٥٣٢ .

٣ - سورة المدثر الآيات (٤٩ : ٥١).

وهكذا نجد الحق تبارك وتعالى استخدم هذا الحيوان فى كثير من الأغراض، فتارة يصور به قدرته على إعادة الحياة بعد الفناء، وتارة يأتى به فى معرض التذكير بنعم الله تعالى التى سخرها للإنسان، وتارة يشبه من يرفع صوته بصوت هذا الحيوان المنكر، وتارة يذم به الذين يرون الحق ويعرضون عنه كمن يحمل الكتب القيمة ولا ينتفع بما فيها، فلو لم يكن لهذا الحيوان من فائدة لما استخدمه الله تعالى فى هذه الأغراض المتعددة، أضف إلى ذلك أن الله تعالى صرح فى كتابه بأنه يستخدم فى الركوب والزينة حيث قال: ﴿...والْخَيْلَ والْبِغَالَ والْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وزِينَةً﴾[١] .

وذكر الدميرى من زينته أن منظره قريب من منظر الحصان إلا أنه دونه فى الجرى ، ولا نكارة إلا فى صوته، وقد وصف الحمار بمعرفة سلوك الطرقات وبحدة السمع، وكثير من الناس كانوا يفضلون ركوب الحمير على غيرها، وسئل خالد بن صفوان عن سبب تفضيله الحمار فى ركوبه، فقال: يحمل الرحلة، ويبلغنى قصدى، ويقل داؤه، ويخف دواؤه، ويمنعنى أن أكون جبارا فى الأرض أو أكون من المفسدين، وسئل الفضل بن عيسى الرقاشى عن ذلك فقال: إنه أقل الدواب مئونة وأكثرها معونة، وأخفضها مهوى وأقربها مرتقى[٢].

وقد تحدث صاحب الظلال عن الخيل والبغال والحمير فقال: "وفى الخيل والبغال والحمير تلبية للضرورة فى الركوب، وتلبية لحاسة الجمال فى الزينة: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وزِينَةً﴾ وهذه اللفتة لها قيمتها فى بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام للحياة، فالجمال عنصر أصيل فى هذه النظرة وليست النعمة هى مجرد تلبية الضرورات من طعام وشاب وركوب، بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنسانى المرتفع على ميل الحيوان لحاجة الحيوان"[٣]

---

١ - بعض الآية (٨) من سورة النحل .

٢ - ينظر : حياة الحيوان: ٢/٢٣٨، وسلسلة القصص القرآنى :١٧ /١٠٠، ١٠١

٣ - فى ظلال القرآن: ١٤/ ٢١٦١ .

حكم أكل لحوم الخيل والبغال والحمير :

بعد الانتهاء من حديث القرآن عن هذه الثلاثة رأيت أنه من إتمام الفائدة أن أذكر ــ في عجالة ــ حكم أكل لحومها فأقول وبالله التوفيق:

اختلف العلماء في أكل لحوم الخيل بين مؤيد ومعارض فذهب الأئمة مالك وأبو حنيفة وأشهب وابن القاسم إلى أنه لا يجوز أكل لحوم الخيل والبغال والحمير لقوله تعالى: ﴿والْخَيْل والبغَال والْحمير لتَرْكَبُوها وزِينَةً﴾ فجعلها للركوب والزينة ولم يجعلها للأكل وهذا دليل على أن ما عداه بخلافه وقال في الأنعام﴿ ومنْها تأْكُلون ﴾ مع ما امتن الله به من الدفء والمنافع فأباح لنا أكلها بالذكاة المشروعة فيها، وبهذه الآية احتج ابن عباس والحكم بن عيينة قال الحكم: لحوم الخيل حرام في كتاب الله، وقرأ هذه الآية والتي قبلها وقال: هذه للأكل وهذه للركوب[١] وسئل ابن عباس عن لحوم الخيل فكرهها وتلا هذه الآية وقال: هذه للركوب، وقرأ الآية التي قبلها: ﴿والأَنْعام خَلَقَها لَكُمْ فيها دفْءٌ ومنَافعُ﴾ ثم قال: هذه للأكل[٢] واحتجوا بما خرجه ابو داود والنسائي والدار قطني وغيرهم عن خالد بن الوليد أن رسول الله (ﷺ) نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير وكل ذي ناب من السباع أو مخلب من الطير[٣] وعن النسائي أيضا عن خالد بن الوليد أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: { لا يحل أكل لحوم الخيل والبغال والحمير][٤]

---

١ - هذا الأثر ذكره الطبري في جامع البيان:١٤/٥٧ وابن عطية في المحرر الوجيز :٨/٣٧٥

٢ - هذا الأثر ذكره الطبري في جامع البيان : ١٤/ ٥٧ والنحاس في معاني القرآن : ٤/ ٥٦ وابن كثير في تفسيره:٤/ ٥٦٥

٣ - أخرجه ابو داود في كتاب الأطعمة باب في أكل لحوم الخيل : ٣/٣٥١ والنسائي في الصيد باب تحريم أكل لحوم الخيل : ٧/ ٢٠١ والدار قطني في سننه : ٤/ ٢٨٩ والحديث أورده الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة: ٢/ ١٩١ .

٤ - أخرجه النسائي في الصيد باب : تحريم أكل لحوم الخيل : ٧/ ٢٠٢ والحديث ضعيف ضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة الجزء الثالث حديث رقم ١١٤٩ .

وذهب الجمهور من الفقهاء والمحدثين إلى إباحتها وشذت طائفة فقالت بالتحريم [١] يقول العلامة القرطبى : والصحيح الذى يدل عليه النظر والخبر جواز أكل لحوم الخيل، وأن الآية والحديث لا حجة فيهما لازمة أما الآية فلا دليل فيها على تحريم الخيل إذ لو دلت عليه لدلت على تحريم لحوم الحمر والسورة مكية وأى حاجة كانت إلى تجديد تحريم لحوم الحمر عام خيبر وقد ثبت فى الأخبار تحليل الخيل ، وأيضا لما ذكر تعالى الأنعام ذكر الأغلب من منافعها وأهم ما فيها، وهو حمل الأثقال والأكل. ولم يذكر الركوب ولا الحرث بها ولا غير ذلك مصرحا به، وقد تركب ويحرث بها قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي جعل لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ومِنْها تَأْكُلُون ﴾ [٢] وقال فى الخيل: ﴿ لِتَرْكَبُوها وزِينَةً ﴾ فذكر أيضا أغلب منافعها والمقصود منها ، ولم يذكر حمل الأثقال عليها، وقد تحمل كما هو مشاهد فلذلك لم يذكر الأكل وقد بينه نبيه(ﷺ) الذى جعل إليه بيان ما أنزل عليه، ولا يلزم من كونها خلقت للركوب والزينة ألا تؤكل، فهذه البقرة قد أنطقها خالقها الذى أنطق كل شئ فقالت: إنما خلقت للحرث[٣] فيلزم من علل أن الخيل لا تؤكل لأنها خلقت للركوب ألا تؤكل البقر لأنها خلقت للحرث، وقد أجمع المسلمون على جواز أكلها فكذلك الخيل بالسنة الثابتة فيها روى مسلم من حديث جابر قال نهى رسول الله(ﷺ) يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن فى لحوم الخيل[٤] وقال النسائى عن جابر أطعمنا رسول الله (ﷺ) يوم خيبر لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر[٥] وفى

---

١ - ينظر : تفسير القرطبى:١ /٨١ ، ٨٢ وابن كثير : ٤/٥٦٥، ٥٦٦ والقاسمى ٦/٣٦٩، ٣٧٠ وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد ٤/ ١٨٦ وسبل السلام للصنعانى ٤/٩٨ .

٢ - بعض الآية (٧٩) من سورة غافر .

٣ - أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء [ينظر: فتح البارى: ١٠/ ٢٩٥ حديث رقم ٣٤٧١]

٤ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب : الصيد والذبائح ، باب: إباحة أكل لحم الخيل [ينظر: شرح صحيح مسلم للنووى : ١٣ / ٧٩ حديث رقم ١٩٤١]

٥ - أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الأطعمة باب ما جاء فى أكل لحوم الخيل ٤/ ٢٢٣ حديث رقم ١٧٩٣ وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح .

رواية عن جابر قال: كنا نأكل لحوم الخيل على عهد رسول الله(ﷺ)[١] وعن أسماء رضى الله عنها قالت : كان لنا فرس على عهد رسول الله (ﷺ) أرادت أن تموت فذبحناها فأكلناها[٢] وأما البغال فإنها تلحق بالحمير إن قلنا إن الخيل لا تؤكل فإنها تكون متولدة من عينين لا يؤكلان وإن قلنا إن الخيل تؤكل فإنها عين متولدة من مأكول وغير مأكول فغلب التحريم على ما يلزم فى الأصول. فقد علل تحريم أكل الحمار بأنه أبدى جوهره الخبيث حيث نزا على ذكر وتلوط فسمى رجسا[٣]

ومما يدل صراحة على تحريم لحوم الحمر الأهلية ما أخرجه البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس بن مالك (ﷺ) قال:لما فتح النَّبىُّ (ﷺ) خَيْبرا أصبْنَا حُمُرا فطبخْنَاها ، فَنَادى مُنَادى النَّبىِّ (ﷺ): ألا إنَّ رسُول الله (ﷺ) ينْهاكُمْ عنْها فإنها رجس من عمل الشيطان، فأُكْفئت القُدُورُ وأنها لتفور بما فِيها[٤] فهذا الحديث يدل على صراحة نجاستها وتحريمها .

خامسا: الحوت :

الحوت هو السمك، وقيل: هو ما عظم منه والجمع: أحوات وحيتان،وقيل:حاوتنى فلان أى رواغنى الحوت[٥]والحوت هو النون الذى ورد ذكره فى قوله تعالى: وذا النُّونِ إذ ذَّهب مُغاضبًا فظَنَّ أن لَّن نَّقْدر علَيْه فَنَادى فى الظُّلمات أن لَّا إلَه إلَّا أنت سُبْحانك إنِّي كُنتُ من الظَّالمين[٦]ويجمع النون على نينان

---

١ - اخرجه النسائى فى سننه كتاب الصيد باب الأذن فى أكل لحوم الخيل ٧/ ٢٠١ والحديث صحح إسناده الشيخ الألبانى ينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة الجزء الأول القسم الثانى ص ٧٠٠ ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م .

٢ - أخرجه الدار قطنى فى سننه: ٤/ ٢٩٠ والحديث إسناده صحيح صححه الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على المسند:١٨/ ٣٦٥ حديث رقم ٢٦٧٩٨ .

٣ - ينظر تفسير القرطبى:١٠ / ٨٣ .

٤ - أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد، باب: التكبير عند الحرب [ينظر : فتح البارى : ٩/ ١١٣ ، ١١٤ حديث رقم ٢٩٩١ .

٥ - ينظر: لسان العرب: مادة (ح،و،ت) ٢/٢٦ والمفردات مادة (ح،و،ت)١٣٤ .

٦ - سورة الأنبياء الآية (٨٧).

وأنوان فلقب يونس هو"ذو النون"[١] وقد ورد لفظ الحوت بالإفراد والجمع فى القرآن الكريم خمس مرات:

أولها: فى قصة أصحاب السبت الذين مسخهم الله قردة وخنازير لاعتدائهم فى السبت قال تعالى: ﴿ واسْأَلْهُمْ عن الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُون فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً ويَوْمَ لاَ يَسْبِتُون لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِك نَبْلُوهُم بِما كَانُوا يَفْسُقُون ﴾[٢] ومعنى الآية: واسأل أيها الرسول من عاصرك من اليهود عن حال أهل القرية التى كانت مشرفة على البحر، حين يظلمون ويتجاوزون حدود الله فى يوم السبت بالصيد فيه وهو محرم عليهم، تعظيما لهذا اليوم الذى كان يوم راحة وعبادة لديهم، كما حرم عليهم فيه الاشتغال بغيرها، وكانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء، حيث أدركت بغريزتها هدوء حركة الصيد فى هذا اليوم، فكانت تطفو على وجه الماء آمنة، وكأن الله تعالى يبعثها على الظهور فى هذا اليوم ابتلاء لهم، وحين لا يكونون فى يوم السبت لا تظهر على وجه الماء ولا تكون كثيرة لديهم، ومثل ذلك الابتلاء الشديد نبتليهم بسبب فسقهم وخروجهم على طاعة الله تعالى[٣].

ثانيها وثالثها: فى قصة موسى(عليه السلام) عند ذهابه للقاء العبد الصالح فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾[٤] وفى قوله سبحانه: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[٥] وقد أخرج الإمام البخارى القصة بتمامها فى صحيحه بسنده عن أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ أَنَّهُ سمع رسول اللَّهِ(ﷺ) يَقُولُ « إِنَّ

---

١ - سلسلة القصص القرآنى : ١٧ / ١٤٠ .

٢ - سورة الأعراف الآية (١٦٣).

٣ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر حزب ١٧ / ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ .

٤ - سورة الكهف الآية (٦١).

٥ - سورة الكهف الآية (٦٣).

مُوسى قَامَ خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْداً بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتاً فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ[1]، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَأَخَذَ حُوتاً فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً،...الخ القصة[2] وقد أفاض المفسرون فى الحديث عن هذه القصة ويمكن مراجعتها هناك[3].

رابعها: فى سورة الصافات حينما أخبر الحق تبارك وتعالى أن يونس (عليه السلام) ممن أرسلهم الله تعالى لتبليغ رسالة ربه إلى الناس، ثم أخبر أنه هجر قومه من غير أمر ربه وذهب إلى سفينة مملوءة فركب فيها فتعرضت السفينة للغرق فاقترعوا لإخراج أحد ركابها عن حمولتها فخرجت القرعة على يونس فكان من المغلوبين بالقرعة فألقى فى البحر على حسب عرفهم فى ذلك الحين فابتلعه الحوت وهو مستحق للملامة جزاء هروبه من الدعوة إلى الحق وعدم الصبر على المخالفين ولولا أنه كان من المنزهين لم المواظبين على ذكره لمات فى بطن الحوت وما خرج منه إلى يوم البعث هذا ما صوره الحق تبارك وتعالى فى قوله: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ

---

١ - المكتل : بكسر الميم وتسكين الكاف وفتح التاء زنبيل يعمل من الخوص [ينظر : المعجم الوجيز صـ ٥٧٠ ت ٠ ل) ص ٥٢٧ ٠

٢ - الحديث بطوله أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب: التفسير ، باب : قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [ينظر : فتح البارى: ١٣/ ٢٩٧ – ٢٩٩ حديث رقم ٤٧٢٥]

٣ - ينظر تفاسير : الزمخشرى:٢/٤٩٠ ، ٤٩١ والرازى:١٠/ ٣٤٢ ، ٣٤٣ والقرطبى:١١/١٤، ١٥ والنيسابورى : ١٣/٢١٥٨ ، ٢١٥٩ ط دار الصفوة ط الأولى:١٤١٦هـ١٩٩٥م وابن كثير ٥/ ١٨٢ وما بعدها ٠

الْمُرْسلين*إذْ أبقَ إلَى الفُلْكِ الْمشْحُونِ*فساهم فكَان منَ الْمُدْحضين*فَالْتَقمه الْحُوتُ وهو مُليمٌ*فَلَوْلَا أنَّهُ كَان منْ الْمُسبِّحين*لَلَبِثَ في بطْنه إلَى يوْمِ يُبْعَثُون﴾[1]

خامسها: حين خاطب الله تعالى رسوله محمد(ﷺ) بقوله: ﴿ فَاصْبِرْ لحُكْمِ ربِّك ولَا تَكُن كَصاحب الْحُوت إذْ نَادى وهو مكْظُومٌ * لَوْلَا أن تَداركَهُ نعْمةٌ منْ ربِّه لَنُبذَ بالْعراء وهُو مذْمُومٌ * فَاجْتَباهُ ربُّهُ فَجعلَهُ من الصَّالحين﴾[2] ومعناها: فاصبر يا محمد لإمهال أهل مكة وتأخير نصرك عليهم ولا تكن كيونس صاحب الحوت فى العجلة والغضب على قومه حين نادى ربه وهو مملوء غيظا وغضبا طالبا تعجيل عذابهم لولا أن تداركته نعمة ربه بقبول توبته لطرح من بطن الحوت بالفضاء وهو معاقب بذلته فاصطفاه ربه بقبول توبته فجعله من الصالحين.

وقد ذكر الله تعالى الدعاء الذى تضرع به يونس(عليه السلام) وهو فى بطن الحوت وهو ما عبر الله عنه بالتسبيح وذلك فيما قصه القرآن الكريم حيث قال: ﴿وذَا النُّونِ إذ ذَّهب مُغَاضبًا فَظَنَّ أن لَّن نَّقْدرَ عَلَيْه فَنادى في الظُّلُمات أن لَّا إلَه إلَّا أنت سُبْحانَك إنِّي كُنتُ من الظَّالمين﴾[3] يقول رسول الله(ﷺ): دعوة ذى النون إذ هو فى بطن الحوت:﴿ لَّا إلَه إلَّا أنتَ سُبْحانَك إنِّي كُنتُ من الظَّالمين﴾ فإنه لم يدع بها مسلم ربه فى شئ قط إلا استجاب له[4]

والحوت من أضخم الحيوانات البحرية، وكم تحتوى البحار والمحيطات والأنهار على أحياء مائية متنوعة وهى حلال للإنسان سواء كانت حية أو ميتة، حلال فى حله وفى إحرامه قال تعالى: ﴿ أُحلَّ لَكُمْ صيْدُ الْبحْرِ وطَعامُهُ متَاعًا لَّكُمْ وللسَّيَّارة وحُرِّم عَلَيْكُمْ صيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا واتَّقُواْ اللَّه الَّذي إلَيْه

---

١ - سورة الصافات الآيات (١٣٩ : ١٤٤).

٢ - سورة القلم الآيات (٤٨ : ٥٠).

٣ - سورة الأنبياء (عليه السلام) الآية (٨٧) .

٤ - أخرجه أحمد فى مسنده : ١/١٧٠ والترمذى فى مسنده فى كتاب الدعوات ٥/٤٩٥ حديث رقم ٣٥٠٥ والحاكم فى المستدرك ١/ ٥٠٥ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى والنسائى فى عمل اليوم والليلة باب: ذكره دعوة ذى النون ص ٤١٦ حديث ٦٥٦ وقال الشيخ /أحمد شاكر فى تعليقه على المسند حديث رقم ١٤٦٢: إسناده صحيح .

تُحْشَرُون ﴾[١] وسئل رسول الله(ﷺ)عن ميتة البحر فقال:"هو الطهور ماؤه الحل ميتته"[٢] ويقول فى حديث آخر: " أحلت لنا ميتتان ودمان: فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال "[٣] والحوت حيوان ثديى يلد ويمتاز بالقوة يستطيع أن يقلب سفينة كبيرة إذا اصطدم بها وهو متعدد المنافع والفوائد.

سادسا: الدابة التى تخرج من الأرض تكلم الناس آخر الزمان:

سبق أن ذكرنا عدد مرات ورود الدابة فى القرآن الكريم سواء بالإفراد أو بالجمع وذلك فى التمهيد أثناء الحديث عن تعريف الحيوان، وسوف أتناول هنا الحديث عن الدابة التى تخرج من الأرض تكلم الناس آخر الزمان، وهى إحدى علامات الساعة الكبرى والله تعالى بين ذلك فى قوله: ﴿ وإذَا وقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[٤] فالآية يخبر فيها الحق تبارك وتعالى عما يكون بين يدى الساعة من ظهور إحدى العلامات الكبرى وهى خروج الدابة، ومعنى وقوع القول عليهم: أى إذا قرب نزول العذاب الموعود به فى نحو قوله تعالى: ﴿ ولَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٥] وقيل المعنى:إذا وقع القول عليهم أى وجب الغضب من الله تعالى عليهم أى: على شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة[٦]

---

١ - سورة المائدة الآية (٩٦) .

٢ - خرجه الإمام مالك فى الموطأ ، كتاب: الطهارة . باب: الطهور للوضوء ص ٤٣ حديث رقم٤٦ وأبو داود فى سننه كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر ٢١/١ حديث رقم٨٣ والترمذى فى كتاب الطهارة باب: ما جاء فى كراهة البول فى الماء الراكد ١٠١.١٠٠/١ حديث رقم ٦٩ وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

٣ - أخرجه أحمد فى مسنده :٢/ ٩٧ والبيهقى فى السنن :١/ ٢٥٤ وذكره الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير : ١٣/١ ورمز له بالصحة .

٤ - سورة النمل الآية (٨٢)

٥ - بعض الآية (١٣) من سورة السجدة .

٦ - ينظر : تفسير الطبرى: ٢٠/ ٩ والبغوى : ١٥٧/٥ .

يقول الحافظ ابن كثير: هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد النـاس وتركهم أوامر الله تعالى وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض، قيل: من مكة، وقيل: من غيرها فتكلم الناس[١] وكلام الدابة بلسان زلق واضح بصـوت يسمعه من قرب ومن بعد قائلة لهم كما بين ذلك القرآن:﴿ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَـا يُوقِنُونَ﴾ أى: بخروجى لأن خروجها من الآيات[٢]، وجاء فى السنة ما يدل على أن خروجها من علامات الساعة الكبرى فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ(ﷺ) فى غُرْفَةٍ ونَحْنُ أَسْفَلَ منْهُ فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَـالَ:«مـا تَذْكُرُونَ ؟» قُلْنَا:السَّاعَةَ. قَالَ:« إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَكُونُ حتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَـاتٍ خَسْـفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالـدُّخَانُ والـدَّجَّالُ ودابَّـةُ الأَرْضِ ويأْجُوجُ ومأْجُوجُ وطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ونَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرَةِ عـدنٍ تَرْحلُ النَّاسَ» [٣]

واختلف فى بيان هذه الدابة فقيل هى الجساسة[٤] وحديثها عند مسـلم عـن تَمِيمٍ الدَّارِى أنه حدث رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) أَنَّهُ رَكِب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا فى الْبَحْرِ ثم ارفؤوا إِلَى جزيرةٍ فـى البحـر حتى مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلـب[٥] كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلـك مـا أنـت ؟

---

١ - تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٢٤ .

٢ - يراجع ذلك فى تفاسير:الطبرى:٢٠/ ١١، ١٢وابن كثير:٦/٢٢٤والقرطبى: ٣ / ٢٤٧

٣ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب: الفتن، باب: فى الآيات التى تكون قبل الساعة [ينظر: شرح صحيح مسلم للنووى: ١٨/٢٤،٢٣ حديث رقم ٢٩٠١]

٤ - قال النووى : هى بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى ، وقيل : سميت بذلك لتجسسها الأخبـار للرجال وجاء عن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة فى القران [ينظر : شرح صحيح مسلم للنووى:١٨/ ٦٥ حديث رقم ٢٩٤٢]

٥ - أهلب: أى كثير الشعر، والأهلب الغليظ الشعر والهُلْب الشعر النابت على أجفان العينين ينظر لسان العرب مادة (هـ ل ب) ١/ ٧٨٦ .

فقالت: أنا الجساسة ... الحديث "[1] وقيل: هى الفصيل الذى كان لناقة صالح (عليه) فلما قتلت الناقة هرب الفصيل بنفسه وانفتح له حجر فدخل فيه ثم انطبق عليه فهو فيه الى أن يخرج بإذنه تعالى، وقيل: إنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة الذى اقتلعه العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة، ويروى أنها دابة لها شعر كثيف طويلة القوائم طولها ستون ذراعا ومهما يكن من شئ فإنه ورد فى جملتها أوصاف كثيرة والذى يهمنا أنها دابة، ذات خَلق عجيب تكلم الناس، وليست بإنسان، ويكون كلامها خرقا للعادة ولقد ورد أنها تخرج من مدينة قوم لوط، وَقيل: من بعض أودية تهامة، وقيل من مكة ، واختلف فى خروجها من مكة فقيل من صدع بالصفا وقيل بالمروة وقيل: من شعب أجياد ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بما جاء فى الأحاديث أنها تخرج ثلاث خرجات: الأولى: من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية ثم يمكث زمان طويل ثم تخرج مرة أخرى دون تلك أى من بادية قريبة من تلك فيعلو ذكرها عند البادية ويدخل ذكرها القرية ــ يعنى مكة ــ الثالثة: خروجها العام من مكة فتسم المؤمن فتبيض وجهه ويكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر ويكتب بين عينيه كافر فيسود وجهه وتطوف الأرض كليها[2] والأولى أن هذه الأمور مرجعها إلى الله تعالى خاصة وأنه لم يرد فيها نص صريح صحيح عن رسول الله (ﷺ).

* * * * * * *

---

١ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب : الفتن، باب: قصة الجساسة [ينظر: شرح صحيح مسلم للنووى : ١٨/ ٦٣]

٢ - ينظر: تفسير القرطبى :١٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ والإذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة لصديق حسن خان ص: ١٧٣ ومن هدى النبرة وأعلامها فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة والجنة والنار أ.د/ سعد محمود بكار ص ١٠٢، ١٠٣ .

الحكمة من خروج هذه الدابة :

لما أقام الله تعالى الحجة على المكذبين فأرسل إليهم الرسل وساق إليهم الآيات العقلية والمعجزات وما حدث لمن سبقهم من الأمم ولكنهم لم يسمعوا ولم يستجيبوا ولم يلتفتوا إلى دعوة الله ومنهجه فعند ذلك أتى الله تعالى لهم بشئ معجز عليهم يجدون تفسيرا له وهو أن يخرج لهم دابة من الأرض تكلمهم، فهم لم يسمعوا كلام أنبيائهم ورسلهم فما داموا لم يسمعوا لمن مثلهم من البشر فالله يخرج لهم دابة من الأرض تكلمهم. انظر إلى هذه المهانة: هم لم يسمعوا لبشر مثلهم فعليهم أن يستمعوا للدابة ماذا ستقول لهم الدابة وما هو كلامها[١].

سابعا: الفيل :

الفيل: حيوان عظيم من ذوات الأربع ذوات الخف، من حيوانات البلاد الحارة ذات الأنهار من الهند والصين والحبشة والسودان، ولا يوجد فى غير ذلك إلا مجلوبا، وهو ذكى قابل للتأنس والتربية، ضخم الجثة أضخم من البعير، وأعلى منه بقليل وأكثر لحما وأكبر بطنا، وخف رجله يشبه خف البعير، وعنه قصير جدا، له خرطوم طويل، هو أنفه يتناول به طعامه وينتشق به الماء فيفرغه فى فيه ويدافع به عن نفسه يختطف به ويلويه على ما يريد أداه من الحيوان ويلقيه على الأرض ويدوسه بقوائمه وفى عينيه خرز، وأذناه كبيرتان مسترخيتان ، وذنبه قصير أقصر من ذنب البعير، وقوائمه غليظة، ومناسمه كمناسم البعير وللذكر منه نابان طويلان بارزان من فمه يتخذ الناس منها العاج وجلده أجرد مثل جلد البقر، أصهب اللون قاتم كلون الفأر ويكون منه الأبيض الجلد وهو مركوب وحامل أثقال، وأهل الهند والصين يجعلون الفيل كالحصن فى الحرب، ولم يكن الفيل معروفا عند العرب فلذلك قلّ أن يذكر فى كلامهم، وأول فيل دخل بلاد العرب هو الفيل المذكور فى هذه السورة " سورة الفيل "[٢]

---

١ - ينظر : قصص الحيوان فى القران للشيخ/ محمد متولى الشعراوى: ٢٤٤، ٢٤٥

٢ - ينظر :التحرير والتنوير ٣٠/٥٤٦ وعجائب المخلوقات:٣٠٨ والحيوان للجاحظ:٧/١١٨ .

وقد ورد ذكر الفيل فى آية واحدة من كتاب الله تعالى أصبحت عنوانا لسورة من سور القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[١] ومن المعلوم أن هذه الواقعة كانت قبل المبعث النبوى بزمن طويل وخاطب الله تعالى رسوله(ﷺ) بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ لأن المراد من هذه الرؤية العلم والتذكير، وهو إشارة إلى أن الخبر به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا مساويا فى القوة والجلاء للرؤية، ولهذا السبب قال لغيره على سبيل الذم: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾[٢]

قصة أصحاب الفيل :

أورد هذه القصة كثير من العلماء فى كتبهم ويمكن ذكرها بإيجاز فيما يلى : كان هناك ملك على اليمن يسمى " ذو نواس " كان طاغية ظالما، أغراه رجلان يهوديان أن يعتنق اليهودية ويترك المسيحية التى هو عليها، واعتنق اليهودية فأغرياه بفرض العقيدة الجديدة على الشعب، لكن الشعب تمسك بالنصرانية ، فعرضا عليه أن يحفر حفرا عميقة ويملؤها بالنار ويخير كل مواطن بين القذف فى النار أو الدخول فى الدين الجديد، لكن الشعب تمسك بالنصرانية ورفض اليهودية، فخد لهم الأخاديد العميقة وملأها نارا ووقفت الجماهير صفوفا، وألقوا بأنفسهم فى النار والله تعالى يقول: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٣]

علم بذلك النجاشى ملك الحبشة، وكان بمثابة الحامى للمسيحية من قبل " قيصر الروم " فأرسل جيشا جرارا يقوده قائدان عظيمان أحدهما يسمى " أرياط " والثانى يسمى " أبرهة " فهاجموه وقتلوه ، وأراد أرياط ان يتولى ملك اليمن لكن

---

١ - سورة الفيل .

٢ - بعض الآية (٣١) من سورة يس [وينظر : مفاتيح الغيب : ١٦ / ٦٣٩].

٣ - سورة البروج الآيات (٤ : ٩).

أبرهة حقد عليه وعزم على أن يكون هو الملك ودخلا فى مبارزة حاميـة، وكـان أرياط ماهرا فى اللعب بالسيف فجرح أبرهة جرحا بليغا فى أنفه ومن هنا سـمى " أبرهة الأشرم " لكن أبرهة استطاع قتل أرياط، ولما علم النجاشى عزم على تأديـب أبرهة وخاف أبرهة من قوة جيش النجاشى، وأراد أن يسترضيه فعرض عليه بنـاء كنيسة فى اليمن يأتى إليها العرب ويقدمون لها الهدايا والنذور كمـا يفعلـون مـع الكعبة الشريفة ورضى النجاشى ٠

بنى أبرهة كنيسة رائعة سماها " القليس " ودعا العرب إلى حجها فلم يـأت إليها أحد، فعزم على هدم الكعبة حتى تبقى القليس وحدها فيضطر العرب إلى الحج إليها وعرض الأمر على النجاشى فوافقه وأمده بفيل ضخم إذا وضع رأسه فى بناء يهدمه فى الحال، ولم يكن أبرهة يعرف طريق مكة، فطلب من يرشده إليها فـامتنع العرب حتى وجد رجلا فاجرا يسمى " أبو رغال " سار معه لكنـه مـات قبـل أن يصلوا إلى مكة، وأرسل أبرهة طلائع جيشه لاكتشاف مكة والبيت الحرام، ونجحوا فى ذلك، ولما قرب من مكة صادر ما فى طريقه من جمال وأبقار وأغنام ومـاعز واختطف النساء٠

وكانت لعبد المطلب جد النبى (ﷺ) مائتا جمل صادرها جند ابرهة، فذهب عبد المطلب إليه ، ولما علم أن عبد المطلب هو سيد مكة ظن أنه جـاء يسـترحمه لكيلا يهدم الكعبة، لكن عبد المطلب طلب منه أن يعيد إليه الإبل التى أخذها جنوده، وعجب أبرهة وقال له: أتسألنى عن إبل وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائـك ؟ فقـال عبد المطلب: أما الإبل فأنا ربها وأما البيت فله رب يحميه، وأطلق أبرهة إبل عبـد المطلب، وعزم على مهاجمة الكعبة، وأرادت قريش الدفاع عن الكعبة، فقـال لهـم عبد المطلب: لا طاقة لكم بجيش أبرهة ونصحهم بالصعود على أعالى الجبال حتى تتجلى الغمة، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قـريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لا هُمّ إنّ العبْد يمْـــنعُ ∴ رحلَهُ فامـنعْ حِلالكْ

لا يغْلِبن صليبُهُمْ ∴ ومِحالُهُمْ عدْواً مِحالكْ

إنْ كنت تاركهم وقبـ ∴ ـلتنا فأمرٌ ما بدالكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال، فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها. فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وعبئ جيشه، وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. وبدأ التحرك نحو الكعبة. ووجهوا الفيل لكنه أبى، وقعلوا به الأفاعيل فلم يتحرك، وإذا وجهوه إلى وجهة أخرى أسرع فى الجرى، وأذن الله أن يهلك أبرهة وجيشه فأرسل سبحانه طيوراً صغيرة فى منقار كل طائر حجر صغير من جهنم، ووقف كل طائر على كل جندى وألقت الطيور حمولتها، وكانت تأتى فى أسراب متتالية كموج البحر، ينزل الحجر فيخترق رأس الفارس والفرس فيتحولان فى الحال إلى عجينة، وهلك جنود أبرهة، وسقطت أعضاء جسمه ومات مذموما مدحورا . وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[1]

وقد ورد فى كثير من الأحاديث الصحيحة الإشارة إلى نبأ الفيل فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه أن النبى(ﷺ) قَال يوم فَتْح مكَّةَ:« إِنَّ اللَّه حبس عنْ مكَّةَ الْفِيل وسلَّطَ علَيْها رسُولَه والْمُؤْمنِين ».[2] وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت:" لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس"[3] وقال(ﷺ): إنما

---

١ - سورة الفيل ، ويراجع قصة أصحاب الفيل فى تفاسير: الزمخشرى : ٤/ ٢٨٥ وما بعدها والرازى ١٣٨/١٦ وما بعدها والقرطبى ١٨٧/٢٠ وما بعدها والنيسابورى :٣٤٣٠/٤ وابن كثير:٤٥٣/٨ وما بعدها والقاسمى :٤٨١/٩ وما بعدها وذكرها كذلك ابن هشام فى سيرة النبى (ﷺ) : ٤٦/١ وما بعدها .

٢ - أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب: الحج ، باب: تحريم مكة وتحريم صيدها [ينظر : شرح صحيح مسلم للنووى : ٩/ ١٠٨ حديث رقم ١٣٥٥]

٣ - أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة: ١١٥/١ والحاكم فى المستدرك :٢/ ٥٣٥ والحديث أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/ ٢٨٥ وقال رواه البزار ورجاله ثقات .

سمى الله البيت العتيق،لأن الله تعالى أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار قط"[١]

تساؤل والرد عليه :

لم قال الله تعالى: ﴿ أَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ ولم يقل أرباب الفيل أو ملاك الفيل ؟

أجاب العلامة الفخر الرازى عن هذا التساؤل فقال: لأن الصاحب يكون من الجنس فقوله تعالى: ﴿أَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ يدل على أن أولئك الأقوام كانوا من جنس الفيل فى البهيمية وعدم الفهم والعقل، بل فيه دقيقة وهى:أنه إذا حصلت المصاحبة بين شخصين،فيقال للأدون إنه صاحب الأعلى، ولا يقال للأعلى إنه صاحب الأدون، ولذلك يقال لمن صحب الرسول(ﷺ) إنهم أصحابه، فقوله تعالى:﴿أَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ يدل على أن أولئك الأقوام كانوا أقل حالا وأدون منزلة من الفيل، وهو المراد من قوله تعالى:﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٢]ومما يؤكد ذلك أنهم كلما وجهوا الفيل إلى جهة الكعبة كان يتحول عنه ويفر عنه كأنه كان يقول:لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق عزمى حميد فلا أتركه وهم ماكانوا يتركون تلك العزيمة الردية فدل ذلك على أن الفيل كان أحسن حالا منهم[٣]

وكانت واقعة أصحاب الفيل قريبة من عهد رسول الله(ﷺ)، وهى إحدى آيات قدرة الله تعالى، وأثر من سخطه على من اجترأ عليه بهتك حرمه، وهكذا نجد أنه لما دنا مولد الرسول(ﷺ) تقاطرت آيات نبوية وظهرت آيات بركته، فكان من أعظمها شأنا وأظهرها برهانا وأشهرها عيانا وبيانا هذه القصة وآية الرسول(ﷺ) فى قصة الفيل أنه كان فى زمانها حملا فى بطن أمه بمكة، لأنه ولد بعد خمسين يوما من الفيل ــ تقريبا ــ فكانت آيته فى ذلك من وجهين: أحدهما: أنهم لو ظفروا

---

١ - اخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير:٥/٣٠٤ حديث رقم٣١٧٠ وقال:هذا حديث حسن صحيح والحاكم فى المستدرك : ٢/ ٣٨٩ وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه والحديث رئق رجاله الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٣/ ٢٦٩ .

٢ - بعض الآية (١٧٩) من سورة الأعراف .

٣ - مفاتيح الغيب : ١٦/ ٦٤١ ، ٦٤٢ .

لسبوا واسترقوا فاهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله أن يجرى عليه السبى حملا ووليدا، والثانى: أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به دفع أصحاب الفيل عنهم وما هم أهل كتاب لأنهم كانوا بين عابد صنم أو متدين وثن أو قائل بالزندقة أو مانع من الرجعة ولكن لما أراده الله تعالى من ظهور الإسلام تأسيسا للنبوة وتعظيما للكعبة، وأن يجعلها قبلة للصلاة ومنسكا للحج[١]

هذا وقد اشتملت سورة الفيل على التذكير بأن الكعبة حرم الله، وأن الله حماه ممن أرادوا به سوءا أو أظهر عليهم فعذبهم لأنهم ظلموا بطمعهم فى هدم مسجد إبراهيم وهو عندهم فى كتابهم، وذلك ما سماه الله كيدا، وليكون ما حل بهم تذكرة لقريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت، وأن لاحظ فيه للأصنام التى نصبوها حوله، وتنبيه قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبى(ﷺ) عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل عام ولادته، ومن وراء ذلك تثبيت النبى(ﷺ) بأن الله يدفع عنه كيد المشركين، فإن الذى دفع كيد من يكيد لبيته لأحق بأن يدفع كيد من يكيد لرسوله(ﷺ) ودينه ويشعر بهذا قوله:﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ومن وراء ذلك كله التذكير بأن الله غالب على أمره،وأن لا تغر المشركين قوتهم ووفرة عددهم ولا يوهن النبى(ﷺ) تألب قبائلهم عليه فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا،ولم يتكرر فى القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل خلافا لقصص غيرهم من الأمم لوجهين: أحدهما: أن إهلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله، وثانيهما: أن لا يتخذ منه المشركون غرورا بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكى فى قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٢]وقوله: ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[٣]

---

١ - ينظر : تفسير القاسمى :٩/ ٤٨٥ بتصرف .

٢ - سورة التوبة الآية (١٩).

٣ - بعض الآية (٣٤) من سورة الأنفال [ويراجع التحرير والتنوير :٣٠ / ٥٤٣ ، ٥٤٤]

لماذا أضيف أمر القصة إلى الفيل ؟

وإنما أضيف أمر القصة إلى الفيل واشتهرت به لاصطحابهم الفيل معهم للبطش والتخريب، فإنه لو تم لقائديه كيدهم لكان الفيل يدهم العاملة وسهمهم النافذ، وذلك أن جبابرة البلاد التى يوجد فيها الفيل يتخذونه آلة بطش وانتقام، فإذا غضبوا على محارب وأسروه أو وزير وأوثقوه أو بلد ونازلوا حصنه أرسلوا على دار المغضوب عليه أو حصنه الفيل فنطح برأسه ونابه الصرح فيدكه وقواعد البنيان فيهدمها فيكون أمضى من مغاول(١) وفؤوس وأعظم رعبا ورهبة فى النفوس ، وربما القوا المسخوط عليه بين يديه فأعمل فيه نابه ولف عليه خرطومه وشاله ومثل به تمثيلا كان أشد بطشا وتنكيلا(٢)

وهكذا نجد أن هلاك أصحاب الفيل كان كرامة للنبى(ﷺ) فقد ولد فى هذا العام بعد هلاك أصحاب الفيل، وكان(ﷺ) رحمة مهداة ونعمة مسداة للعالمين لينشر التوحيد والسلام والعدل فى الأرض وقد ذكر الله تعالى قريشا بهذه النعمة، وأنه تعالى حماها من الجوع ومن الخوف وأمن مكة وما حولها وطالبهم بعبادة الله ودلك فى قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ (٣)

ومن عجائب الفيل أنه إذا أحس بالمرض واقتراب الموت فإنه يقطع مسافات بعيدة ويدخل إحدى المغارات كمكان ليموت فيه، وهو غيور على أنثاه، ولا يسمح لفيل آخر بالاقتراب منها، ويحمى ولده الصغير بكل قوة حتى يشتد عوده، والفيل حيوان نباتى يعيش على العشب وأوراق الشجر، وهو حيوان جماعى لا يعيش وحده بل مع قافلة من الفيلة، والله تعالى كرم هذا الحيوان فى القرآن وأنزل سورة باسمه هى:"سورة الفيل"وهذا لما أبلاه من بلاء حسن حين رفض الاقتراب

١- المغاول: جمع مغول وهو حديدة تجعل فى السوط فيكون له غلافا ، وقيل هو سيف دقيق وسمى مغولا لأن صاحبه يغتال به عدوه أى يبلكه ينظر اللسان مادة (ع،و،ل)١١/ ٥١٠ .

٢ - ينظر : تفسير القاسمى : ٩/ ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

٣ - سورة قريش .

من بيت الله الحرام فكانوا إذا قصدوا به نحو البيت تعاصى وبرك وإذا خلوه وشأنه سار يميناويسارا:﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ واللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [١]

فما أجمل القصص القرآنى وما أروعه وما أصدقه قال تعالى:﴿إِنَّ هَـذَا لَهُـوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[٢] وقال عز من قائل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عليْك أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[٣]وقال سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤] ويمكن للمتدبر فى قصة أصحاب الفيل أن يستقى الأهداف السامية والأغراض الدينية من القصص القرآنى من إثبات النبوة والرسالة وبيان قدرة الله الواحد القهار، وإنذار الكافرين وتبشير المؤمنين وإثبات وحدانية الله وبيان عاقبة عمل الخير ونهاية عمل الشر وتأييد الصابرين وبيان نتيجة الجزع والشكر والبطر وغير ذلك من الأغراض الدينية قد عرضت لها القصة القرآنية وبينته وعلى رأس ذلك كله العظة والعبرة قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٥]

حكم أكل لحم الفيل :

اختلف الفقهاء فى حكم أكل لحم الفيل فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة وقول عند المالكية إلى أنه يحرم أكل لحم الفيل، وفى قول آخر عند المالكية أنه مكروه وذلك لأن الفيل له ناب وقد ورد النهى عن أكل كل ذى ناب من السباع[٦]

---

١ - سورة آل عمران الآية (٥٤).

٢ - بعض الآية (٦٢) من سورة آل عمران.

٣ - بعض الآية (٣) من سورة يوسف (عليه السلام).

٤ - بعض الآية (١٧٦) من سورة الأعراف .

٥ - سورة يوسف (عليه السلام) الآية (١١١).

٦ - الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الذبائح والصيد باب : أكل كل ذى ناب من السباع [ينظر: فتح البارى : ١٥/ ٣٤٤ حديث رقم ٥٥٣٠]

ثم إنه من جملة الممسوخ والممسوخ محرم كما إنه مستخبث فيدخل فى عموم الآية: ﴿ ويحرّمُ عليْهِمُ الْخبائث ﴾ [١]

وذهب الشعبى وابن شهاب ومالك فى رواية وابن حزم الظاهرى إلى أن الفيل حلال وذلك لقوله تعالى: ﴿ وقَدْ فصّل لَكُم مّا حرّم علَيْكُمْ ﴾[٢] والفيل لم يفصل تحريمه فيكون مباحا[٣] ولكن يرد على ذلك بأن الفيل من ذوات الأنياب والسنة قد حرمت كل ذى ناب فيكون قد بين تحريمه بالسنة وبذلك يترجح حرمة أكل الفيل لأنه غير مستطاب [٤].

* * * * * * * *

---

١ - بعض الآية (١٥٧) من سورة الأعراف [ويراجع ذلك فى المجموع شرح المهذب للنووى: ٩/ ١٧ ط دار الفكر والمغنى مع الشرح الكبير لابن قدامة:١١/٦٧ ط مطبعة المنار ١٣٤٨هـ وحاشية الدسوقى مع الشرح الكبير لشمس الدين ابن عرفة: ٢/١٣٧ ط دار الفكر

٢ - بعض الآية (١١٩) سورة الأنعام .

٣ - ينظر: المجموع للنووى:٩/١٧ وحاشية الدسوقى: ٢/ ١٣٧ والمحلى لابن حزم:٧/ ٤٠٣

٤- يراجع : التبيان فى ما يحل ويحرم من الحيوان د / زبيع دردير محمد على : ٥٦ط الصفا والمروة ١٩٩٦م .

الخـاتـمة

أسال الله- تعالى- حسنها

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وبفضله ترفع الدرجات، الذى خلـق الإنسـان علمه البيان، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وصفوة أنبيائه ورسله سيدنا محمـد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه

أما بعد: فقد حرصت من خلال هذا البحث (**التبيان فى الحكمة مـن ورود بعـض الحيوان فى القرآن**) أن أكون فى خدمة كتاب الله تعـالى، وذلـك بإظهـار درره ومزاياه فقد حوى كل شئ وتحدث عن كل شئ تارة تصريحا وتارة تلميحا.

ومن دلائل قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته أنه خلق كل شئ، ولـيس فـى الأرض حيوان يدب فى ظاهر الأرض وباطنها أو طائر يطير بجناحيه فى الهـواء إلا خلقها جماعات تماثل بنى آدم، وجعل لها خصائصها ومميزاتها ونظـام حياتيـا قال تعالى : ﴿ وما من دآبَّةٍ فِي الأرْضِ ولاَ طَائِرٍ يطِيرُ بِجنَاحَيْهِ إلاَ أمَمٌ أمْثَالُكُم مَـا فَرَطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[1]

ويمكن أن نستخلص من خلال هذا البحث-المتواضع-أن الحيـوان صـفحة مفتوحة فى كتاب الله المنظور ذكرها كتابه المسطور فى آيات كثيرة، وأشـار الـى اختلاف أنواعها وأشكالها وأعضائها وقواها وألوانها وأصواتها ومنافعها ومضـارها وهى مع هذا الاختلاف من أصل واحد وهو الماء، كما تبين لنا أن أمـة الحيـوان كغيرها من الأمم الأخرى تسبح بحمد الله ليلا ونهارا ولكن لا نفقه نحن البشر هـذا التسبيح، كما تبين لنا أن من دلائل قدرة الله تعالى خلق الأنعام ومـا تحويـه مـن ألبان- الذى هو آية من آيات الله يخرج من بين شيئين كـريهين، ويكـون خالصـا سائغا للشاربين-وما ينتج عن الأنعام من أكل للحومها واستفادة بجلودها وأصـوافها وأوبارها وأشعارها، كل هذا يحتاج إلى تدبر وتفكر فى نعم الله التى من بهـا علـى الإنسان وشكر من أمدها له وفى نفس الوقت جعله قادرا على تذليلها واسـتخدامها

---

١ - بعض الآية (٣٨) من سورة الأنعام .

والانتفاع بها وجعلها مذللة نافعة ملبية لشتى حاجاته سبحانك ربى ٠٠ما أعظم رحمتك وما أكرم إحسانك وما أكثر نعمك علينا خلقتنا ورزقتنا وفضلتنا على كثير ممن خلقت تفضيلا لكننا لم نقدرك حق قدرك بما ران على قلوبنا من المعاصى وما غاب عن بصائرنا من حسن فضلك فاهدنا ربنا سواء السبيل وأخرجنا من ظلمات الضلالة إلى نور السبيل ٠

وتبين لنا كذلك أن السباع خلقها الله تعالى لتأديب الطغاة والانتقام من الظالمين وكذلك للعظة والعبرة فكل حيوان قوى خلق الله تعالى ما هو اقوى منه حتى يرتدع بنو آدم ويتواضعوا لله ويعلموا أن جميع المخلوقات مسخرة لخالقها يرسلها لمن شاء ويصرفها عمن يشاء.

وتبين كذلك أن من الحيوانات التى خلقها الله تعالى سوى الأنعام والسباع منها ما حرم أكله لضرره كالخنزير، ومنها ما خلقه الله كى يتزين بها الإنسان ويركبها ويحمل عليها كالخيل والبغال والحمير، ومنها الحيوان المائى الذى أحل الله أكله حيا وميتا كالحوت، ومنها الحيوان الذى جعله الله إحدى علامات الساعة الكبرى كالدابة التى تخرج آخر الزمان تكلم الناس، ومنها الحيوان الضخم العظيم الثقيل الذى جعله الله سببا فى حماية بيته الحرام كالفيل الذى كان هلاك أصحابه كرامة للنبى(ﷺ) حيث ولد بعد هذا الحادث بخمسين يوما تقريبا٠

هذا ما يسره الله تعالى لعبده الفقير من الحديث عن بعض الحيوان والحكمة من وروده فى القرآن الكريم، وما سطرته بقلمى هو جهد المقل وبضاعته المزجاة قصدت به وجه الإله، فالقرآن بحر زاخر لا ساحل له فإن كان هناك خير فهو بفضل الله (ﷻ) الذى وفقنى إلى ذلك، وإن كان هناك تقصير- وهو موجود - فذلك يرجع إلى أن لكل إنسان جهده الذى يقف عنده ولا يستطيع أن يتعداه، ويرجع كذلك إلى أن للقرآن الكريم عظمته وأسراره التى ستظل شاهدة على قدسية ذلك الكتاب ودليلا على أنه المعجزة الخالدة التى تقف دائما موقف التحدى ولا يستطيع أى إنسان أن يأتى بكل ما فيه ٠

وفى النهاية: أسأل الله العلى القدير أن يسدد قصدى وينفعنى بهذا العمل ومن بعدى، كما أسأله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم،وأن يجعله فى ميزان حسناتنا وأن يغفر به لنا ولوالدينا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، وأن يصلح ذرياتنا وأن يبارك فى أبداننا وأموالنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وأختم بحثى بما كان يختم به رسول الله (ﷺ) مجلس التحديث:{ اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، وأجعله الوارث منا وأجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا} [١]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دكتور: حسين عبد العال حسين طلب أبو صغير

مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكاية

٢٧ من ذى القعدة ١٤٢٥ هـ

٨/ ١ / ٢٠٠٥ م

---

١ - أخرجه الإمام الترمذى فى سننه فى كتاب أبواب الدعوات وقال عقبة : حديث حسن غريب: ٥/ ١٨٩ ، ١٩٠ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الدعاء وصححه ووافقه الذهبى فى التلخيص [انظر المستدرك : ١/ ٥٢٥] وحسنه الألبانى فى كتابه صحيح الجامع الصغير : ١/ ٢٧٢ .

ثبت لأهم مراجع البحث

١- القرآن الكريم جل من أنزله .

٢- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة لصديق حسن خان ت ١٣٠٧هـ ط دار إحياء التراث الإسلامية بقطر سنة ١٤٠٥هـ١٩٨٥م

٣- إحكام الأحكام لابن دقيق العيد ت٧٠٢هـ ط دار الندوة-بيروت- ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤- أخلاق النبوة لأبن أبى الشيخ ط دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم لأبى السعود. ت٩٥١هـ ط دار إحياء التراث العربى ط الثانية ١٤١١هـ ١٩٩٠م

٦- أساسيات علم الحيوان د / محمد كمال عبد العزيز ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ط الثانية ١٩٦٦ م .

٧- البحر المحيط لأبى حيان ت ٧٤٥هـ ط دار الفكر العربى ط الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٧٣م.

٨- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ت ٧٧٤هـ ط دار الحديث ط الرابعة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٩- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ت٥٧١هـ ط دار الكتب العلمية.

١٠- التبيان فى ما يحل ويحرم من الحيوان د / ربيع دردير محمد على ط الصفا والمروة ١٩٩٦م .

١١- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعى ط المطبعة الإميرية ببولاق ١٣١٣.

١٢- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣هـ ط الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م .

١٣- التعريفات للجرجانى ت ٨١٦هـ ط دار الريان للتراث .

١٤- تفسير ابن أبى حاتم ت٣٢٧هـ ط المكتبة العصرية ط الثانية١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٥- تفسير آيات الأحكام للشيخ / محمد على السايس ط مطبعة محمد على صبيح ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م .

١٦- تفسير البغوى ت٥١٠هـ ط دار المعرفة بيروت ط الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٧- تفسير البيضاوى ت ٦٩١ هـ ط دار صادر بيروت.

١٨- تفسير عبد الرزاق ت ٢١١هـ ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٩- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ت٧٧٤هـ ط دار الحديث- ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢٠- التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج أ . د/ وهبة الزحيلى ط دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٢١- تفسير النسائى ت ٣٠٣ هـ ط مكتبة السنة ط الأولى١٤١٠هـ- ١٩٩٠م .

٢٢- التفسير الوسيط لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

٢٣- جامع البيان للإمام الطبرى ت٣١٠هـ ط دار الفكر للطباعة والنشر١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٢٤- الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للإمام السيوطى ت ٩١١هـ ط مكتبة مطابع المشهد الحسينى .

٢٥- الجامع الكبير للسيوطى ت ٩١١هـ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٩٥ .

٢٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ت ٩٧١هـ ط دار الحديث ط الأولى١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٢٧- حاشية الدسوقى مع الشرح الكبير لابن عرفة ط دار الفكر.

٢٨- الحلال والحرام في الإسلام أ.د / يوسف القرضاوى ط مكتبة وهبه ط الثانية والعشرون ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٢٩- الحيوان للجاحظ ت٢٥٥هـ ط الحلبى ط الثانية ١٩٦٦م.

٣٠- دلائل النبوة للبيهقى ت ٤٥٨هـ ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣١- ديوان المتنبى تحقيق إسماعيل اليوسف ط دار الكتاب العربى بسوريا.

٣٢- روح المعانى للإمام الآلوسى ت ١٢٧٠هـ ط دار إحياء التراث العربى ط الرابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣٣- زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ت ٥٩٧هـ ط دار الفكر.

٣٤- سبل السلام للصنعانى ط دار التراث.

٣٥- سلسلة القصص القرآنى د/حمزة النشرتى وآخرون ط مطابع الأهرام.

٣٦- سنن أبى داود ت ٢٧٥ هـ ط دار الحديث ط الأولى ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م .

٣٧- سنن الترمذى ت ٢٧٩ هـ تحقيق/ أحمد شاكر ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

٣٨- سنن الدار قطنى ت ٣٨٥هـ ط مكتبة المتنبى القاهرة.

٣٩- سنن النسائى ت ٣٠٣هـ ط دار الفكر بيروت ط الأولى.

٤٠- سيرة النبى(ﷺ) لابن هشام ت ٢١٨هـ ط دار التراث.

٤١- شرائع الإسلام فى مسائل الحلال والحرام للحلى تحقيق/ عبد الحسين محمد على ط الآداب فى ىالنجف الأشرف ط الأولى ١٣٨٩هـ .

٤٢- شرح صحيح مسلم للإمام النووى ت٦٢٦هـ تح /طه عبد الرءوف سعد ط دار البيان العربى.

٤٣- صحيح البخارى ت ٢٥٦ هـ ط مطابع الشعب ١٣٧٨هـ.

٤٤- صحيح الجامع الصغير للشيخ الألبانى ت ١٤٢٠هـ ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض ط الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٤٥- صحيح سنن النسائى للشيخ الألبانى ت ١٤٢٠هـ ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض ط الأولى ١٤٢٠هـ.

٤٦- صحيح مسلم ت ٢٦١هـ ط منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت.

٤٧- صفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسنين مخلوف ت ١٤١٠هـ ط دار الكتاب العربى ط الأولى ١٤٠١هـ

٤٨- عمل اليوم والليلة للنسائى ت ٣٠٣ هـ ط دار الجيل بيروت.

٤٩- عون المعبود شرح سنن أبى داود لمحمد شمس الدين العظيم أبادى ت ١٣١٠هـ ط دار الفكر ط الثالثة ١٣٩٩هـ.

٥٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى ت ٧٢٨ هـ ط مصطفى البابى الحلبى ط الأولى ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٥١- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ت٨٥٢هـ ط دار الغد العربى.ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٥٢- فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ت ١٣٨٧هـ ط دار الشروق ط الثانية عشر ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٥٣- القاموس المحيط للفيروز أبادى ت ٨١٧هـ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

٥٤- قصص الأنبياء لابن كثير ت ٧٧٤هـ ط المكتبة التوفيقية.

٥٥- قصص الحيوان فى القرآن للشيخ/محمد متولى الشعراوى ت١٤١٩هـ ط أخبار اليوم ط الأولى ١٩٩٩م.

٥٦- الكشاف للزمخشرى ت ٥٣٨ هـ ط مصطفى البابى الحلبى الطبعة الأخيرة ١٣٨٥هـ.

٥٧- لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى بهامش تفسير الجلالين ط مكتبة مصر.

٥٨- لسان العرب لابن منظور ت ٧١١هـ ط دار صادر بيروت ط الأولى١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.

٥٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ت ٨٠٧هـ ط دار الكتب العلمية

٦٠- المجموع شرح المهذب للنووى ت ٦٢٦هـ ط دار الفكر.

٦١- محاسن التأويل للقاسمى ت١٩١٤م ط دار الحديث١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

٦٢- المحرر الوجيز لابن عطية ت ٥٤٦هـ ط المجلس الأعلى بفاس١٩٧٩م.
٦٣- المحلى لابن حزم ت ٤٥٦هـ ط دار الطباعة المنيرية.
٦٤- مسند الإمام أحمد ت ١٤١هـ ط دار الفكر العربى.
٦٥- المشاهد فى القرآن الكريم دراسة تحليلة وصفية د / حامد صادق قنيبى ط المنار ط الأولى ١٩٨٤ م.
٦٦- معالم القرآن فى عوالم الأكوان للشيخ / أحمد محى الدين العجوز ط دار الندوة بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م.
٦٧- معانى القرآن للنحاس ت ٣٣٨هـ ط دار الكتب العلمية بيروت.
٦٨- المعجم الكبير للطبرانى ت ٣٦٠ هـ تحقيق أحمد عبد المجيد السلفى ط الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٦٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقى ط دار الحديث.
١٠- المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية ط وزارة التربية والتعليم ١٩٩٠م.
٧١ - المغنى مع الشرح الكبير لابن قدامة ط مطبعة المنار١٣٤٨هـ.
٧٢- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام الرازى ت ٦٠٦هـ ط دار الغد العربى ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٧٣- المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ت ٥٠٢هـ ط الجمهورية.
٧٤- المقبول من أسباب النزول أ.د/ نادى محمود حسن الأزهرى ط الأمانة ط الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٧٥- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط العشرون ١٤٢٣هـ.
٧٦- من هدى النبوة وأعلامها فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة والجنة والنار أ.د/محمد محمود بكار ط مطبعة الصفا والمروة ط الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م
٧٧- الموطأ للإمام مالك ت ١٧٩هـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٧٨- موقف القرآن الكريم من المشركين كما تصوره سورة الأنعام د / حسين عبد العال حسين أبو صغير ط مطبعة الصفا والمروة بأسيوط ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

٧٩- النباتات والحيوانات كغذاء ودواء أ.د/ جمال الدين حسين مهران ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٨٠- نفحات القرآن الكريم للشيخ عبد اللطيف السبكى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م

٨١- النكت والعيون للماوردى ت ٤٥٠هـ ط دار الكتب العلمية ط الأولى١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

رسائل ودوريات

٨٢- التوظيف الاقتصادى للموارد الطبيعية فى ضوء القرآن الكريم للباحث / حشمت مفتى عبد الراضى رسالة التخصص (الماجستير) مخطوط فى كلية أصول الدين بأسيوط قسم التفسير وعلوم القرآن سنة ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م.

٨٣- مجلة الأزهر عدد ذو القعدة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

* * * * * *

فهرس موضوعات البحث

الموضـــــوع	الصفحة
- المقدمة	٤٢٨
التمهيد - الحيوان فى اللغة والاصطلاح.	٤٣٢
- أصل نشأة الحيوان.	٤٣٥
- الحيوان أمة مثلنا.	٤٣٦
المطلب الأول ورود الأنعام فى القرآن الكريم - تمهيد	٤٣٨
- تساؤل والرد عليه.	٤٤١
- أولا: البقـــر.	٤٤٤
- قصة بقرة بنى اسرائيل	٤٤٥
- قصة عجل بنى اسرائيل.	٤٤٨
- الجزاء من جنس العمل	٤٥١
- ثانيا: الضأن والماعز	٤٥٢
- ثالثا: الإبل	٤٥٦
- رقفة قصيرة	٤٦٠
المطلب الثانى ورود السباع فى القرآن الكريم - تمهيد.	٤٦٣
- أولا: القـــرد.	٤٦٤
- ثانيا: الكلب.	٤٦٧
- ثالثا: الذئـــب.	٤٧١
- رابعا: القســـورة	٤٧٦

المطلب الثالث ورود حيوانات أخرى فى القرآن الكريم سوى ما ذكر	
- تمهيد.	٤٧٩
- أولا: الخنـــزيـــر.	٤٧٩
- ثانيا: الخيـــل.	٤٨٥
- ثالثا: البغـــل.	٤٨٩
- رابعاً: الحمـــار	٤٩٠
-حكم أكل لحوم الخيل والبغال والحمير.	٤٩٦
- خامساً: الحـــوت.	٤٩٨
- سادساً: الدابة التى تخرج من الأرض تكلم الناس	٥٠٢
-سابعاً: الفيـــل	٥٠٥
- الخاتمة.	٥١٤
- ثبت لأهم مراجع البحث	٥١٧
- فهرس موضوعات البحث	٥٢٣